

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية



دروس في مادة:

علاقات الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي

مقدمة لطلبة السنة الثانية ماستر

تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

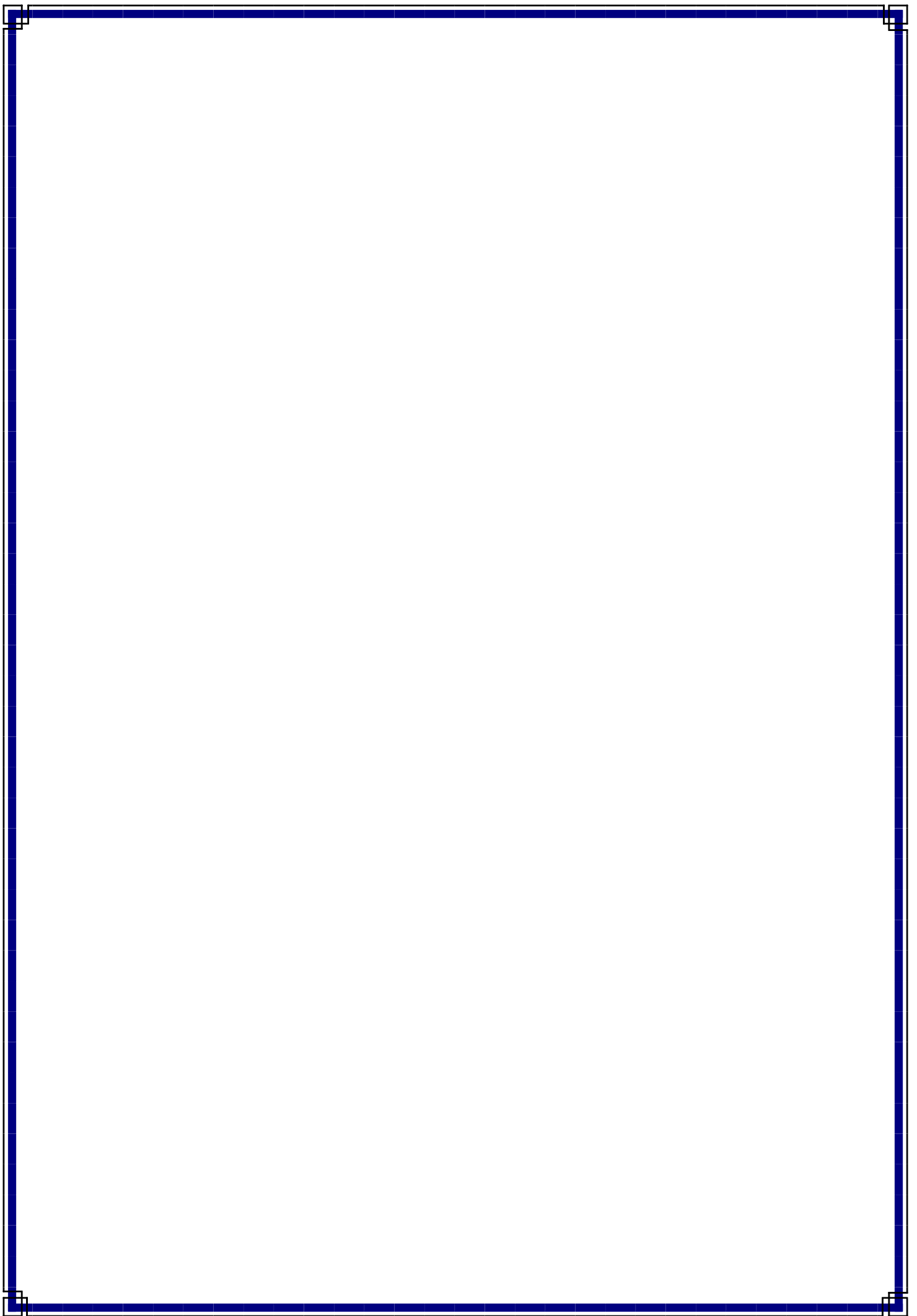
المدامسي الثالث

الرتبة: محاضر أ

من إعداد الأستاذ:

وانس صلاح الدين

الموسم الجامعي: 1443-1444هـ/2022-2023م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة غرداية  
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية  
قسم التاريخ

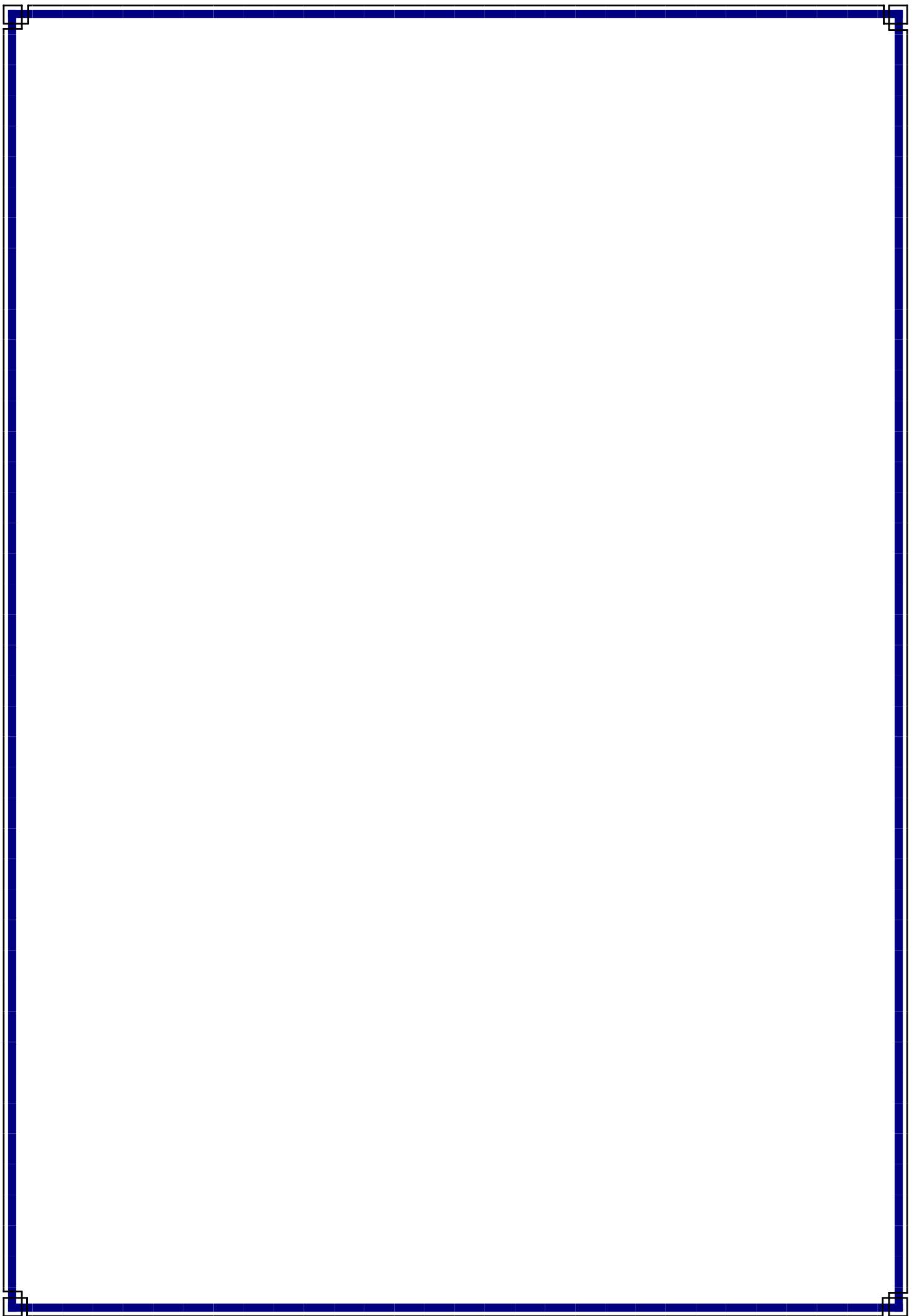
دروس في مادة:  
علاقات الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي  
مقدمة لطلبة السنة الثانية ماستر  
تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط  
السداسي الثالث

الرتبة: أستاذ محاضر أ

من إعداد الأستاذ:  
وانس صلاح الدين

الموسم الجامعي: 2024-2023/1445-1444

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مقدمة

### أهمية المادة ومكانتها في التخصص:

يعتبر تاريخ العلاقات بين الغرب الإسلامي والعالم المسيحي في العصر الإسلامي الوسيط من المواضيع الهامة جدا، ذلك أن العلاقات بمعناها الواسع، سياسية كانت أو اقتصادية، أو ثقافية، بين دولة وأخرى، تكتسي أهمية كبرى في معرفة قوة الشعوب والأمم، وفي مدى ازدهار وتقدم أي دولة، كما أنه المؤشر على صلاحية نظام الحكم أو فساده، ومعيار يعرفنا على سلامة النظام السياسي وتماسك الجبهة الداخلية أو هشاشتها وانقسامها.

وكل ذلك يفرض على الباحث أن يغوص في أعماق المجتمعات وفلسفة حياتها، ومعرفة نظم الحكم السياسية والاقتصادية وتأثيرات المجتمعات وتأثرها وقد يتعدى إلى دراسة البيئة الطبيعية والمعالم الجغرافية ومدى تأثيرها على طبيعة العلاقات بين الدول والشعوب حتى يصل إلى معرفة نقاط القوة وأسباب الضعف، وما هي الأسباب التي أدت إلى قيام الحضارات وعوامل سقوطها وانهارها، وكيف تندلع شرارة الحروب وكيف تبرم الاتفاقيات وتعدد المواثيق والمعاهدات،

فدارس التاريخ يجب أن يبدأ ويستفتح دراسته بالتاريخ السياسي لكي يفهم باقي الجوانب المذهبة والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومن الدراسات السياسية يأتي على رأسها وفي مقدمتها تاريخ العلاقات بين الدول والأمم والشعوب، إذ نحاول من خلال هذه المطبوعة التطرق إليه، وكشف علاقاته وجوانب التأثير فيها والتأثر.

أما المنهجية التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التاريخي للأحداث، وكانت عملية السرد اعتمادا على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التاريخية، وتحلل هذا السرد منهج التحليل لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفية، وكثفت من الاستشهاد بالنصوص في المتن والهامش إما دعما لرأي أو مساندة لاستنتاج ومن أجل تبسيط المعلومات وترسيخ الحقائق.

الدرس التمهيدي: حصة تعريفية بمحاور ومحتوى المقياس.

عناصر الدرس:

التعريف بالمادة ومحتواها

المقصود بالعلاقات بين الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي.

محاور المقياس.

أهم المصادر و المراجع.

شرح خطة العمل في التطبيقات.

أولاً: (التعريف بالمادة ومحتواها)

1-إسم المادة ورمزها المعتمد في المقرر الوزاري: العلاقات بين الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي.

2-مكانة المادة ضمن برنامج الدراسة:

-الوحدة التعليمية: الأساسية

-عدد المحاضرات السداسية: أربعة عشر محاضرة

-الحجم الساعي الأسبوعي: ساعة ونصف والسداسي: واحد وعشرون ساعة

-المستوى المستهدف بها: السنة الثانية ماستر الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

-طريقة التقييم فيه: امتحان كتابي للمحاضرة وتقييم مستمر للأعمال الموجهة.

-معامل المقياس: 02، الأرصدة:05

3-الأهداف المرجوة من تدريس المقياس:

- إلمام بتاريخ العلاقات

توظيف الطالب للغة ثانية غير اللغة العربية لتعزيز رصيده المعرفي من وجهة نظر الآخر، وهي تسمح له بالتحكم في المفردات والمصطلحات ذات العلاقة بتاريخ الغرب الإسلامي.

4-المعارف المطلوب اكتسابها مسبقاً لمتابعة سير الدروس:

- تعزيز تحكمه في لغة أجنبية.

ثانياً: المقصود بالعلاقات بين الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي.

نقصد بالعلاقات بين الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي، كل أشكال التواصل والاحتكاك السياسي أو العسكري أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو العسكري، بين الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) والعالم المسيحي سواء المسيحيين الذين كانوا في الأندلس أو الدول المجاورة للعالم الإسلامي المسيحية.



ثالثا: محتوى المادة:

الدرس التمهيدي.

الدرس الأول: علاقة الأندلس بدولة الفرنجة.

الدرس الثاني: الغزو النورماني للأندلس.

الدرس الثالث: علاقة الأندلس بالأمبراطورية الرومانية.

الدرس الرابع: علاقة المغرب الإسلامي بالنورمان والدولة البيزنطية.

الدرس الخامس: العلاقة مع الممالك النصرانية: مملكة ليون- نبرة- قشتالة-برشلونة – اراغون.

الدرس السادس: علاقة الامويين بالأندلس بالممالك النصرانية.

الدرس السابع: علاقة المرابطين بالممالك النصرانية.

الدرس الثامن: علاقة الموحيدين بالممالك النصرانية.

الدرس التاسع: علاقة الحفصيين والزيانيين والمرنيين بالممالك النصرانية.

الدرس العاشر: تاريخ البحرية في بلاد الغرب الإسلامي.

الدرس الحادي عشر: دور التجار في نقل الأفكار والتقارب الحضاري.

الدرس الثاني عشر: العلاقات السياسية نماذج لسفارات.

الدرس الثالث عشر: العلاقات العلمية تنقل الطلبة والكتب

الدرس الرابع عشر: تنقل الأفراد والهجرات.

الخاتمة.

رابعا: المصادر والمراجع الأساسية للمادة:

أ-المصادر:

- ابن الأبار : الحلة السيرة ، تحقيق ، حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة1985م.

- ابن أبي الزرع الفاسي(ت741هـ/1340م)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة و الوراق، الرباط، ط(1972) .

- ابن أبي زرع، علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط(1973م).

- ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق سالم مصطفى البدري ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1998 م.

- ابن أبي الزرع الفاسي (ت741هـ/1340م)، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة و الوراقفة، الرباط، ط(1972) .
- ابن أبي زرع، علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقفة، الرباط(1973م).
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت نحو 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، م1.
- ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط(2006م).
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(1989م).
- ابن بلقين، الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس بن زيري، (483هـ/1090م)، التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، ط(2011م).
- ابن خاقان، أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي (ت 528هـ/1140م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، دار الرسالة، دمشق، ط1(1983م).
- ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر، الأردن، ط1(1989م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار العلم للجميع، بيروت (د.ت).
- ابن حيان : المقتبس ، نشر : بدروشالميتا ، مدريد 1979 م
- ابن حيان : المقتبس ، نشر : ملشورأتونية ، باريس 1937 م
- ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب". تحقيق : كولان وبروفنسال ، ج2 ، بريل ، 1983م.
- العذري : نصوص عن الأندلس ، تحقيق : عبد العزيز الأهواني ، مدريد 1965 م.
- الفتح بن خاقان : مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: الفتح بن خاقان (ت529هـ). تحقيق ودراسة: محمد علي شوابكة. مؤسسة الرسالة، ودار عتار، بيروت 1983م.

- مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، ط1، دار الفرجاني ، القاهرة 1994م.

-مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1983م .

- المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر

والتوزيع 1994

-المقري : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 1 ، تحقيق إحسان عباس ط 1. دار صادر بيروت 1968.

ب- المراجع.

-أحمد ابراهيم الشعراوي، دراسات في تاريخ اسبانيا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، 1973م.

-ابراهيم فرغلي : تاريخ وحضارة الأندلس ، ط1 العربي للنشر والتوزيع ، 2006 م.

-ابراهيم علي طرخان : المسلمون في اوروبا في العصور الوسطى ، القاهرة 1966 م.

-إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع - الذهنيات- الأولياء ، ط1، دار الطليعة ، 1993م

-إبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ، ط 3 ، دار النهضة العربية 1986 م.

- احمد بدر : تاريخ الاندلس في عهد الخلافة ، دمشق 1974 م

-احمد فكري : قرطبة في العصر الاسلامي ، تاريخ وحضارة ، مؤسسة شباب الجامعة ، د .ت.

-أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1982 م.

-أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ط1 ، دار النهضة العربية ، د . ت.

-أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الاندلس منشأة المعارف 2000 م

-السيد عبد العزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، قسمان، بيروت 1992م.

-السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة.

-السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة .

-ألفونس كارمونا كوزنليس : معاهدات الصلح والاستقرار الإسلامي في الأندلس.- في: ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات.- الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1993

-أمين توفيق الطيبي ، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس ، الدار العربية للكتاب ، 1984م.  
-أنخل بالينشيا : تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس ، ط 1 ، مكتبة النهضة المصرية ، 1955م.  
-اوليفيا كونستبل، التجارة والتجار في الاندلس ، ترجمة : د. فيصل عبدالله ، مكتبة العبيكان، 2002م  
- حسن على حسن ، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس ( عصر المرابطين والموحدين ) ، مكتبة الخانجي القاهرة 1995 م

-حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ط2 ( 1995 م).

-تاريخ المغرب والاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة دار الفكر العربي  
-حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الاندلس في عصر الامارة الاموية ، ط1 ، مؤسسة شباب الجامعة  
-حمدي عبد المنعم ، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس ، دار المعرفة الجامعية ، 1998م  
-جوستاف لوبون، حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 م  
-خالد عبد الكريم، النشاط الاقتصادي في الاندلس ، دار الفجر للنشر والتوزيع 1995 م.  
-خالد بن محمد القاسمي ، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1998م  
-خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، 2000 م

- سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة، الأموية عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2000 م

-سعدون عباس ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس ، ط1، دار النهضة العربية.

-سعدون عباس، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ط1، دار النهضة العربية.

-سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى ( جزءان ) مكتبة الأنجلو المصرية، 1986 م.

-عبادة كحيلية،المغرب في تاريخ الاندلس والمغرب ، القاهرة ، ط2 2000 م.

. -علي محمد حودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراي والاجتماعي، القاهرة 1957م  
محمد القاضي ، موسى بن نصير فاتح المغرب وبلاد الأندلس دار التوزيع والنشر الإسلامية لا2000-

J Caille. LES Marseillais aceuta.

- VEMET, R, Les relations entre Le Maghreb et la peninsuleiberique

YVer ,G, Le Commece et les marchands dans Litaliemeridionale

خامسا: شرح خطة العمل في التطبيقات.

أعتمد في طريقة العمل: على الطالب أن يختار من أحد المواضيع ويعالجها بإحدى الطريقتين:

بطاقة قراءة في كتاب أو بحث تعريفي

الكتب:

- أ- مقدمة.
- ب- الوصف الظاهري للكتاب.
- ت- التعريف بالمؤلف وأهم أعماله.
- ث- الوصف الباطني للكتاب انطلاقا من:
  - 1- إطلالة عامة على الكتاب(محتواه)
  - 2- تلخيص القسم الخاص بالعلاقات (علاقة الأندلس بدولة الفرنجة، علاقة الأندلس بالإمبراطورية الرومانية، علاقة المغرب الإسلامي بالنورمان والدولة البيزنطية، العلاقة مع الممالك النصرانية: الممالك النصرانية: مملكة ليون- نبرة- قشتالة-برشلونة - اراغون، علاقة الأمويين بالممالك النصرانية ، علاقة المرابطين بالممالك النصرانية، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية، علاقة المرينيين والحفصيين والزيايين بالممالك النصرانية) على الطالب أن يختار علاقة واحدة بعد القاء اطلالة خفيفة على كتابه الذي اختاره(يرجى في هذه النقطة التنسيق بينكم) أو التكلم عنها بشكل عام.
- ج- خاتمة تتضمن رأي الطالب حول أهمية الكتاب.
- ح- أهم المصادر والمراجع.

## البحوث:

يراعى فيه المنهجية والدقة والاختصار.

ملاحظه هامة: كل طالب ملزم بملخص لا يتجاوز الورقة كحد أدنى والورقتين كحد أقصى لزملائه في المجموعة وترفق مع البحث

# الدرس الأول: علاقة الأندلس بدولة الفرنجة.

## عناصر الدرس:

تمهيد

دولة الأمويين بالأندلس

دولة الفرنجة من الداخل

علاقات بني أمية في الأندلس مع الفرنجة

## أولاً: تمهيد

كانت العلاقة بين الأندلس والفرنجة علاقة متعدية، علاقة حوار وعلاقة حوار، تتقلب بين السلم والحرب والتصعيد والهدنة، بين صدام العقيدة وتعايش البشر وتبادل منافع اقتصادية واستراتيجية، والصراع على الزحف على المناطق الجيو استراتيجية، يعني لم تكن مائلة في كفة واحدة بل كانت تتأرجح تدفعها المصالح وتحجمها المفاصد، ففي وقت وصلت فيه هذه الدول المتناقضة سياسيا والمختلفة عقائديا إلى التعايش اجتماعيا إلى التصاهر بين شخصين بل بين بلدين لما يحمله هذا الأمر من رسائل ظاهرة وأخرى مبطنة لأغراض سياسية أو جوسسة أو غير ذلك.

نحاول أن نتلمس بعض جوانب هذه العلاقة في جوانب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا.

## أولاً: ظهور الدولة الأموية في الأندلس

دخل الإسلام إلى الأندلس من (92هـ / 711م إلى 95هـ / 714م)، وأهلها ناقمون على حكامها القوط النصارى<sup>1</sup>، بينما كان معظمهم تابع لمذاهب مسيحية موحدة، مضطهدة من طرف الكنيسة الحاكمة.

وقد انضموا إلى الإسلام عن طواعية وحماس، لدرجة أن بعض المفكرين الإسبان المعاصرين نعتوا الفتح الإسلامي للأندلس، بثورة إسلامية في الغرب<sup>2</sup>.

كانت الأندلس في بداية الفتح الإسلامي تابعة لولاية المغرب في الدولة الإسلامية، وعاصمتها القيروان<sup>3</sup>، ثم أصبحت ولاية قائمة بذاتها، وعاصمتها إشبيلية. ثم انفصلت الأندلس عن الدولة العباسية في المشرق سنة (138هـ / 756م) تحت زعامة عبد الرحمن الداخل الأموي، الذي أسس دولة أموية في الغرب، واتخذ قرطبة عاصمته<sup>4</sup>.

---

1 - ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، الهيئة العامة لقصور الثقافة-سلسلة الذخائر، ص205، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، بيروت، 1958، ص8، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جس كولان، إيفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ج2، ص6، المقري، نفع الطيب، ج1، ص229-231، أخبار مجموعة، ص5 و6.

2 - علي المنتصر الكتاني، الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم، جذورها ومسارها، المكتبة الإسلامية، ج1، ص31.

3 - المقري، نفع الطيب، ج1، ص253، عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص40، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص70، عبد الرحمان الحججي، التاريخ الأندلسي، 45 وما بعدها.

4 - مجهول، أخبار مجموعة، ص90 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص200، دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ص212، عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص153.



وصلت الأندلس الأموية أوجها أيام عبد الرحمان الناصر (300 - 350هـ / 912 - 961م)، لكن مساحتها تقلصت بعد أن فقد المسلمون "أربونة" و"قرقشونة"، وكل الأرض الكبيرة، و"مبلونة"، و"برشلونة"، و"برغش"، و"ليون"، و"أبيط"، وكل "جليقية"، و"سمورة"، وغيرها من مدن شمال غربي الجزيرة الأندلسية، تحت ضغط الفلول النصرانية، التي تنظمت في دويلات متحالفة ضد الوجود الإسلامي ودولته، أهمها "قشتالة"، و"نبارة"، و"ليون"<sup>1</sup>.

### ثانيا: دولة الفرنجة من الداخل

يقصد بكلمة الإفرنج أو الفرنجة<sup>2</sup> **franks**، حيث جاء هذا اللفظ متباينا لدى المؤرخين<sup>3</sup>، لكن أقرب هذه المعاني إلى الواقع ما عناه فريق من المؤرخين المسلمين، من أن شعب الفرنجة هو الشعب الذي تزعمه الميروفنجيون<sup>4</sup> والكارولنجيون<sup>5</sup>، فيما يعرف الآن بفرنسا فضلا عن شمال اسبانيا(قطالونيا)، وشمال إيطاليا وأجزاء من ألمانيا، وجهات أخرى في أوروبا<sup>6</sup>، وهذا المعنى الشامل هو الذي استخدمه المؤرخون المتأخرون للإشارة إلى شعب الفرنجة، بعد أن استعمل هذا اللفظ للدلالة على سكان إقليم معين، كاسبانيا المسيحية أو بيزنطة أو غيرها، وبالرغم من اجتهادات المؤرخين المحدثون في الشرق لتحديد معنى هذا اللفظ الإفرنج والفرنجة<sup>7</sup>، إلا أن الكتاب المسلمين الأوائل ومعاصروا تلك الحقبة الوسيطة من التاريخ كانوا أكثر دقة في استعمالهم لهذا التعبير أكثر من المؤرخين المتأخرين، فقد قصدوا بالإفرنج تلك الشعوب التي حكمها فرنجة العصرين الميروفنجي والكارولنجي، وهو نفس المعنى المحدد الذي استخدمه المؤرخون المتأخرون في الغرب، فقد استخدم ابن عذارى المراكشي كلمة الإفرنج

<sup>1</sup> - علي المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص31.

<sup>2</sup> - JOURNAL ARTICLE , Kinship, Identity and Fourth-Century Franks, (2nd Qtr., 1996), pp. 223-239 Published By: Franz Steiner Verlag

<sup>3</sup> - محمد محمد مرسى الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، أواخر القرن العاشر الميلادي(138-366هـ/755-976م)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1401هـ/1981م، ص 13.

<sup>4</sup> - harlemagne - Emperor of the Romans | Holy Roman emperor [747-814]". En بر cyclopedia Britannica

<sup>5</sup> - Hollister, Clive, and Bennett, Judith. Medieval Europe: A Short History, p. 97

<sup>6</sup> - ابن خلدون عبد الرحمان، العبر، ج3، ص252، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، 1956م، ص22، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص136.

طبقا للمعنى المشار إليه، كما استخدم البكري الكلمة لنفس الغرض، وكذلك أحمد الرازي وابن حيان، إذ اعتبر بلاد الفرنجة هي التي تبدأ عند الحدود الطبيعية لشبه الجزيرة الأيبيرية فيما وراء جبال البرنية (البرتات).

ولقد حكمت الأسرة الميروفنجية إمبراطورية الفرنجة ردحا من الزمن منذ نجح كلوفس في وضع دعائم هذه الدولة في غالة في أواخر القرن الخامس الميلادي، وظل أبناؤه وأحفاده يتوارثون الدولة الفرنجية بعد وفاته سنة 511م بطريق اقتسام الإرث بالتساوي، حتى وهنت الدولة كثيرا وران عليها ضعف وضمحل.

حقيقة نجح بعض أفراد الأسرة الميروفنجية في توحيد الإمبراطورية فترات متفاوتة، كما فعل لوثر الأول سنة 558م، حين وحد الدولة من جديد تحت سلطانه، لكنها عادت إلى الانقسام والتفتت ثانية بعد نحو ثلاث سنوات بعد وفاة لوثر سنة 561م، وظلت الدولة مقسمة حتى أوائل القرن السابع الميلادي (613م)، حين وحدها من جديد لوثر الثاني، بعد أن أفسح له منافسوه المجال لذلك.

فحكم ابنه داجوبرت (629-639م) دولة الفرنجة موحدة قوية وحاز بحق سلطة الملوك الأقوياء<sup>1</sup>، غير أن هذه الفترة اتسمت بضعف سلطة ملوك الفرنجة وازدياد قوة النبلاء واتساع سلطة الكنيسة وكثرة ثرواتها وانغماسها في السياسة الدنيوية، وتدهور السلطة العامة<sup>2</sup>، وغدت الحروب قاعدة عامة.

ثم أصبح تاريخ الفرنجة بعد ذلك التاريخ حتى ظهور شارل مارتل سنة 714م يمثل النزاع بين العائلات للفوز بمركز رئيس البلاط<sup>3</sup>.

وقضى شار مارتل نحو 22 عاما رئيسا للبلاط (719-741م)، وكانت نقطة تحول خطيرة في تاريخ غرب أوروبا ووسطها واستند جانب كبير من شهرة شارل مارتل إلى ما حققه من نجاح تجاه المسلمين في جنوب المملكة الفرنجية، وقد قام بإنجازات أهمها:

- أعاد حدود المملكة الفرنجية إلى ما كانت عليه قديما.

1- 114- 113, pp, 111, op, cit Davis ,

واقراً الترجمة الإنجليزية لهذه الاحداث في

Hist, of the Frar.ks by Gregory of tours ( trans, by Daition, pp,18- 19- 2 voi, oxiord 1927)

Heyck "rise of the Frankish dominion" in B H. VII, p 3478.-

محمد الشيخ، الممالك الجرمانية في اوربا في العصور الوسطى ص 196.

Davis, op, cit,p, j22 - 3

- اهتم بنشر المسيحية بين قبائل ألمانيا الوثنية.

- نشر القانون وضرب بيد من حديد على كل مثيري الفتن والقتال الداخلية وأخضع الجميع لسلطانه.

### علاقة بني أمية في الأندلس بدولة الفرنجة:

#### أولاً: العلاقات السياسية

أ-وجه عبد الرحمان بن معاوية اهتمامه إلى التصدي لأطماع الإمارات النصرانية بإسبانيا التي حاولت الاستفادة من الفتن الداخلية بين المسلمين وتحالفت مع الفرنجة لتحمي ظهرها.

كان المسلمون بصفة عامة يستجيبون لأي يد تمد لهم بالصدقة والسلام ولم يحدث أن عبد الرحمان الداخل اتخذ موقف الهجوم والعدوان على الفرنجة أو على حكام الشمال بل كان دائماً يتخذ موقف الدفاع لرد عدوانهم، ووضع نصب عينيه توطيد حكمه والقضاء على الثورات واخماد الثائرين، ويحدثنا المقرئ عن هذه العلاقة الدبلوماسية في قوله: "وخاطب عبد الرحمان قارله ملك الافرنج وكان من طغاة الافرنج بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكر تام الرجولة فمال معه إلى المداراة ودعا إلى المصاهرة".

ويرى الدكتور الحجي أن عبد الرحمان الداخل وشارلمان كانا في حاجة إلى السلام، وعقد علاقات صداقة لانشغال عبد الرحمان فترة حكمه التي امتدت ثلاثة وثلاثين عاماً في قمع الثورات الداخلية والفتن، وانشغال شارلمان أيضاً بتدعيم إمبراطوريته والقضاء على أخطر عدو كان يتهدهده وهم السكسون الذين حاربهم ثلاثين عاماً حتى أجبرهم على اعتناق المسيحية.

ويفعم من سياق نص المقرئ أن عبد الرحمان عرض إبرام معاهدة سلام وأن الاستجابة كانت من الطرفين، وتم إبرام معاهدة الصداقة بين الطرفين.

ب- خلف هشام الأول أبيه بعد موته وورث تركة الحكم بكل تبعاتها، وظلت دولة الفرنجة تنتهج نفس السياسة تجاه الأندلس وهي انتهاج الفرص للنبيل من قوتها، ومحاولة تأليب الثوار الخارجيين على سلطة قرطبة في الولايات الشمالية سواء من المسلمين أو النصارى وتشجيعهم على مواصلة التحرش بالدولة الإسلامية.

لم يختلف هشام عن أبيه في التفطن لخطورة الدسائس الفرنجية، ويحرص على مواصلة الجهاد واعلاء كلمة الإسلام لاسترجاع ما ضاع من الأراضي على يد شارلمان وأبيه وينفق ماله في اقتداء الأسرى.

ويبدو مما تقدم أن معاهدة الصلح التي عقدة في عهد عبد الرحمان الداخل لم تعد سارية المفعول.

ج- ولي الحكم بن هشام الامارة بالأندلس بعد وفاة أبيه وقد سار على نهج أبيه وجده معاوية مؤسس الامارة الأموية وعرف عليه حرصه على الوحدة القومية للأندلس، وقد واجه نفس مشاكل الحكم السابقة ، وقد تغيرت بعض الظروف الاقليمية منها: كانت الزعامة السياسية في العالم مطلع القرن التاسع الميلادي يتقاسمها اثنان شارلمان في الغرب وهارون الرشيد في الشرق، وقد نشأت علاقات ودية بينهما لتحقيق السلام.

### ثانيا: العلاقات الدبلوماسية في الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط:

كان للاستقرار النسبي للوضعين العسكري والسياسي بين المسلمين في الأندلس والكارولنجيين الفرنجة في غالة، أثر كبير في قيام نوع من العلاقات السياسية غير الواضحة بين القوى في العالمين الإسلامي والنصراني، وكان "ببين Pepin" ملك الفرنجة، أول من سلك هذا المسلك حين شعر بقوة الدولة الأموية في الأندلس والنفور الذي قام بينها وبين الخلافة العباسية في المشرق، فأرسل سفارة إلى بغداد من أجل هذه الغاية. وقد رحب الخليفة أبو جعفر المنصور بهذه الخطوة السياسية، وبادله السفارة ليعقد معه تحالفاً غير واضح المعالم ضد الإمارة الأموية في الأندلس. في الوقت نفسه تطلعت الإمارة الأموية للتعاون مع بيزنطة التي تعادي كل من دولة الفرنجة والخلافة العباسية... وأضحت المصالح توجه العلاقات السياسية بين القوى آنفة الذكر، لكن بدون أن تتطور إلى تبادل التمثيل السياسي الذي لم يكن معتمداً في ذلك الوقت من القرون الوسطى، وكان الوضع مقتصرًا على نشاط السفراء الذين تنتهي مهمتهم بانتهاء رسالتهم.

لم تقف الدولتان الأموية والبيزنطية موقف المتفرج إزاء هذه الاتصالات السياسية بين العباسيين والفرنجة، فعمدت كل منهما إلى انتهاز الفرص المواتية لخلق نوع من التفاهم والتحالف بينهما، وحدث في عام 223هـ/ 838م أن تعرض الامبراطور البيزنطي "تيوفل Teofil" لضغط عسكري من جانب الخليفة العباسي المعتصم الذي غزا عمورية في عمق آسيا الصغرى، وظل يخشى انتقامه، بالإضافة إلى ما جرى من توغل الأغالبة في جزيرة صقلية، وما أنزله المسلمون الأندلسيون الربيضيون في جزيرة كريت بالامبراطورية من هزائم عند سواحل آسيا الصغرى حيث اقترب خطرهم من العاصمة القسطنطينية... فقرر أن يلتمس المساعدة من الخارج، فأرسل في عام 225هـ/ 840م سفارة إلى العاصمة الأندلسية برئاسة قرطوبوس، وهو من أصل يوناني يجيد اللغة العربية، وحمله هدايا إلى الأمير الأموي ورسالة تتضمن البنود التالية:

- طلب منه عقد معاهدة صداقة وتحالف.

- حرضه على استعادة ميراث أجداده في المشرق الذي اغتصبه العباسيون.
- منى عليه انتزاع جزيرة كريت من الأندلسيين الربضيين وإعادتها إلى بيزنطة.
- ألقى باللوم على عدوانية العباسيين واتباعهم الأغالبة الذين هم أعداء طبيعيين لكل من البيزنطيين والأمويين.

استقبل عبد الرحمن الثاني السفارة البيزنطية بحفاوة بالغة وأثنى على الهدايا التي بعث بها تيوفيل، كما عبر عن شعوره بالفخر حيث ينظر إليه على أنه عاهل قوي ويحظى بالاحترام، ويراعى جانبه في اتخاذ القرارات الحاسمة، ثم رد على رسالته برسالة حملها السفير يحيى الغزال، عبر فيها عن:

-حنقه على العباسيين، وتمنى أن تهيئ العناية الإلهية للأسرة الأموية في الأندلس الانتقام لنفسها منهم.

-حرصه على التعاون، وأنه سوف يرسل إليه أسطولاً حين تهدأ الأمور في بلاده، ولكن بدون أن يرتبط معه في محالفة عسكرية.

-عدم استطاعته طرد الأندلسيين الربضيين من جزيرة كريت لأنه لا ولاية له عليهم.

وتجنب الرد على طلبه فيما يتعلق بالأغالبة، لأنه من الصعب عليه أن يستنكر علانية قيام مناوئيه بحملات موجهة ضد غير المسلمين لإعلاء كلمة الدين.

والحقيقة أن هذه المهام السياسية غير المسبوقة في تاريخ المسلمين في الأندلس، كانت البداية لتقليد بدأ بين قرطبة والقسطنطينية بحيث سوف يتكرر خلال المراحل اللاحقة.

### ثالثاً: العلاقات الاقتصادية:

في دراسة العلاقات الاقتصادية بين مسلمي الأندلس والفرنجة هناك عدة حقائق تسترعي النظر لفهم طبيعة العلاقة بوضوح:

- أن العصر الذي نتناول بحثه غلبت عليه الاشتباكات الحربية المتبادلة وكانت سنوات الصراع أطول من سنوات السلام، مما كان له أثر في العلاقات الاقتصادية.

- الصلة الجغرافية الوثيقة بين اسبانيا وفرنسا في البر والبحر، فالطرق تخرق ممرات البرانس وتجعل الاتصال ممكناً بين القطرين فضلاً عن الجزائر المتناثرة في غرب البحر الأبيض المتوسط ولهذا كانت الصلاة برية وبحرية معا.

- أن بلاد الأندلس شهدت انتعاشا اقتصاديا كبيرا في عهد عبد الرحمان الأوسط كما رأت بلاد الفرنجة نخضة مماثلة وصلت أقصاها في عهد شارل مان

### 1-مظاهر النشاط الاقتصادي في الأندلس وبلاد الفرنجة:

أ- في الأندلس: خص المسلمون أنفسهم أطيب أجزاء شبه جزيرة ايبيرا، أما الجهات التي لم ييسطوا سلطانهم عليها فكانت من الناحية الطبيعية أقل جهات سبه الجزيرة ثراء.

- تقدمت الزراعة على أيدي المسلمين تقدما عظيما وذلك بسبب العوامل الآتية:

- لم يطبق المسلمون النظام الاقطاعي الذي ساد أوروبا في العصور الوسطى والذي من أهم خصائصه عدم الاعتراف بحق التملك، وصيغ العمل بطابع الذلة، وتفضيل طبقة على طبقة، بل نادى الإسلام بالمساواة بين المسلمين في جميع الحقوق والواجبات، فقد حققت الشريعة ظاهرتين مهمتين هما: حرية تملك الأرض وتوكيد مساواة الأفراد في جميع الحقوق والواجبات أمام القانون.
- اتبعت الحكومة الإسلامية سياسة رشيدة حيال السكان الأصليين بعد أن تم الاستيلاء على بلاد الأندلس وظل السكان الأصليين يستمتعون بهذه المعاملة الطيبة بحيث لم يؤثر على المسلمين أنهم اضطهدوا أحدا منهم، وكان لهذه السياسة الحكيمة أثرها الفعال في تقدم الصناعة وازدهار العلوم والفنون لأن المسلمين احتفظوا بالعناصر الزراعية والصناعية من بين السكان، بل سمح المسلمون لرؤساء أساقفة المسيحيين بالأندلس في اشبيلية سنة 166هـ/782م، وفي قرطبة سنة 238هـ/852م بتشديد الكنائس الكبيرة الأمر الذي شجع الكثيرين على اعتناق الاسلام.
- توزيع الأراضي على شكل ملكيات صغيرة ساعد أصحابها على أن يحققوا حياة أرقى وأفضل من حياتهم في عهد القوط، لأنها كانت حكرا على الأشراف ورجال الدين، بينما العامة كانوا عبيدا، واصبح ملاك الأراضي من المسلمين والمسيحيين واليهود على حد سواء يؤدون بالتساوي ضريبة الخراج للدولة، وقد اكتسب هؤلاء الملاك بفضل الحكم الإسلامي حقا جديدا حيث أصبح لملك الأرض الحرية في التصرف في بيع أرض أو نقل ملكيته للغير.

وبالجمله استطاع المسلمون في الأندلس أن يوفقوا بين بيئتهم القديمة والجديدة، بحيث لم يكن تقدمهم الزراعي أقل من تقدمهم الحربي، بل سرعان ما تخلوا عن صفاتهم الحربية وتعلقوا بالزراعة وقد حققوا انجازات عظيمة على الأرض منها:

أ- تحويل جزء كبير من الأراضي المقفرة بالأندلس إلى أراضي خصبة صالحة للزراعة.

ب- كان للفتح الإسلامي نتائج ايجابية حيث هاجر عدد كبير من عرب افريقية والشام إلى تلك الأراضي واستقروا فيها واحترفوا الزراعة والرعي في الأراضي التي خصصت لهم وعاشوا جنبا إلى جنب مع سكان تلك الأراضي.

ج- أما عن الصناعة بالأندلس فكان للفتح الإسلامي أثرا كبيرا في نهضتها، وقد ساعد توفر المواد الطبيعية، والتسامح مع أهل الذمة الأثر المباشر في نهضتها، ومن ابرز الصناعات: الفضة والذهب والحديد والرصاص والخشب، والسفن والمنسوجات القطنية والحربية وصناعة الزجاج.

د- راجت التجارة بفضل المنتجات الزراعية والطرق والمسالك.

ب- في الفرنجة: كان الطابع الغالب على دولة الفرنج هو الطابع الزراعي وذلك نتيجة لاضمحلال المدن وهجرة أهلها وازدياد عدد الضياع الزراعية الكبيرة التي كانت تكفي ذاتيا من الناحية الاقتصادية لذلك لم تكن الدولة في حاجة ملحة إلى التبادل التجاري مع العالم الخارجي.

أ- أخذت الإقطاعات الصغيرة في العصر الكارولنجي في الاختفاء بسبب اتحادها وحلت الإقطاعات الكبيرة محل المدن كوحدات للتنظيم الإداري ومن ثم لم تعد المدن مراكز للنشاط الاقتصادي في العصر الكارولنجي لأن الحياة تركزت في الإقطاعات.

ب- تجمعت الإقطاعات الواسعة حول الأديرة وكان كثير من صغار الملاك يدخلون الدير ويهبون أملاكهم للكنيسة هربا من الجندية أو من دفع الضرائب.

ج- لأصبحت هذه الإقطاعات الكبيرة التي حلت محل المدن محور النشاط الاقتصادي في العصر الكارولنجي الأمر الذي جعل ذلك النشاط يرتبط بالزراعة ونتاج الأراضي إلى حد كبير، وكانت هذه الإقطاعات تنتهج سياسة الاكتفاء الذاتي ولم تنتج ما يفيض عن حاجتها لبيعه في الأسواق.

د- كان أغلب الناس في الدولة الكارولنجية يشتغلون بالزراعة، ومما يجدر ذكره أن الزراعة تقدمت في عهد شارلمان فكانت مزارعه ومزارع الأديرة تعتبر مزارع نموذجية وقد ازدهرت على الخصوص في القرن التاسع الميلادي، بفضل سياسة تشجيع الفلاحين ومساعدتهم ومد الجسور.

هـ- إلى جانب الاهتمام بالزراعة حظيت تربية الحيوانات وبخاصة الماشية والأغنام بعناية كبرى، كما خصصت أراضي لتمون مراعي للماشية.

و- كما كان بجانب الزراع في الضيعات الصناع الذين يقومون بتصنيع منتجاتها الزراعية وقد انتعشت في العصر الكارولنجي بفضل سياسة شارلمان التشجيعية ومن أبرز هذه الصناعات: الصناعة الجلدية(الأحذية والسروج)، وصناعة الحديد، وصناعة الأسلحة.

ز- لم تقتصر الصناعة على الأديرة بل انتشرت حتى في الضياع والقرى ومن أهم الصناعات: صبغة الصوف وغزله، دبغ الجاود وصناعة النعال والسروج وكان لكل ضيعة حدادها ونجارها.

ح- وانشأت الأسواق لبيع ما يفيض عن الحاجة، فازدهرت حركة التجارة في عهد الدولة الميروفنجية، ووجدت طبقة نشيطة من التجار، حيث عمل شارلمان على تنظيم التجارة الداخلية والخارجية كما نظم الموازين والمقاييس، واهتم بالطرق والمسالك التجارية فقام بإصلاحها، وكان التجار يفضلون استخدام الأنهار في نقل تجارتهم حتى أصبحت أنهار الراين والدانوب والميزو الاسكال والسين وفروعا تكون شبكة ضخمة من طرق التجارة، تربط بين شمال امبراطورية شارلمان وجنوبها وبين شرقها وغربها فانتعشت التجارة البحرية ونمت بين بلاد الفرنجة وبلاد الشرق بسبب العلاقات الطيبة بين شارلمان وهارون الرشيد والجاليات المسيحية في مصر والشام وغيرها من بلاد الشرق.

ط- كانت أهم صادرات الشرق إلى دولة شارلمان المنسوجات والاقمشة المزركشة والملونة والملابس الحريرية، والنسيج الأرجواني مثل العباءات الحريرية والمصنوعات الجلدية والروائح والاعشاب والتوابل.

## 2 - طرق نقل التجارة بين الأندلس والفرنجة:

كانت التجارة بين الأندلس الإسلامية وفرنسا الإفرنجية تسلك ثلاث طرق:



**الطريق الأول:** الطريق البري الذي يعبر جبال البرانس عن طريق المدخل المعروف بالأبواب: الذي يدخل منه من الأندلس إلى بلاد الفرنج، ويقول الحميري أنه لولا هذا الجبل الحاجز بين الأندلس وبلاد الفرنجة العظمى لالتقى البحران ولكانت الأندلس جزيرة منقسمة من البر، فكل الطرق البرية الآتية من الأندلس مثل: الطريق البري من الجزيرة الخضراء إلى مدينة اشبيلية، والطريق من شاطة إلى بكيران، والطريق من قرطاجة إلى مرسية، والطريق من مرسية إلى بلنسية، والطريق من مرسية إلى أميرية، والطريق من أميرية إلى غرناطة، والطريق من مالقة إلى قرطبة. كل هذه الطرق البرية إذا أرادت القوافل التجارية أن تعبر إلى بلاد الفرنجة فإنها يجب أن تنفذ من المدخل المعروف بالأبواب الذي يدخل منه إلى بلاد الإفرنج وأهم هذه الممرات: ممر باب الثزري، رونسفال.

**الطريق الثاني:** الطريق البحري عبر ساحل اسبانيا الغربي المطل على بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي): وهذا الطريق لم يسلك إلا في عهد عبد الرحمان الأوسط، وكانت غارات النورمانديين على هذا الساحل الغربي تشكل خطرا جسيما على أمن الدولة الإسلامية بالأندلس.

**الطريق الثالث:** فيمر عبر الساحل الشرقي للأندلس المطل على البحر المتوسط عن طريق الثغور الأندلسية: من الجزيرة الخضراء إلى مالقة ثم أميرية ثم إلى قرطاجة ثم إلى دانية ومنها إلى شرق الأندلس إلى حصن قلبرة إلى بلنسية ويمتد شرقا إلى طركونة إلى برشلونة إلى أربونة إلى البحر الرومي (المتوسط)، ثم تنقل البضائع عبر الممرات البرية.

**3- التبادل التجاري بين البلدين:** هذا وقد اقتصر التبادل التجاري بين الأندلس والإفرنج على المدن الساحلية لكلا البلدين.

#### رابعا: العلاقات الثقافية

لما أتم العرب فتح بلاد الأندلس واستقروا في تلك البلاد وانتهجوا سياسة التسامح مع أهلها وقد ساهم ذلك على انتشار الإسلام بينهم كما أخذت اللغة العربية في الازدهار.

أ- انتشار الإسلام: كانت طبقة العبيد الأسبان أكثر الطبقات استجابة للدين الجديد، وقد تجاوز الإسلام هذه الطبقة إلى أفراد الطبقة الوسطى الذين بدأوا يدخلون الإسلام عن إيمان وعقيدة بفضل سياسة الفاتحين الرامية إلى نشر الإسلام وتعزز الأمر في فترة الولاة حيث عرفت الأندلس نوعا من الثقافة كانت بمثابة الخيوط الأولى لانتشار الثقافة الإسلامية فقد دخل البلاد نفر من الصحابة والتابعين كانوا علماء دين يصحبون الجند

ويفتون في قضايا المسلمين كتقسيم الغنائم وتحديد الضرائب، فضلا عن تفقيه الناس في أمور دينهم فالخليفة عمر بن عبد العزيز أرسل إلى المغرب عشرة من التابعين لتفقيه الناس ولا يستبعد أن يكون بعضهم قد رحل إلى الأندلس في ولاية السماح بن مالك الخولاني، ويبدو أن هؤلاء قد وضعوا نواة المدارس الأندلسية الأولى في مسجد اشبيلية الذي أسسه عبد العزيز بن موسى بن نصير ومسجد قرطبة.

**ب-انتشار اللغة العربية:** لقد كان لظهور طبقة جديدة من المولدين نتيجة المصاهرة نشأوا على الإسلام أكبر مساهمة في انتشار اللغة العربية واتقان اللغة الرومانية بين الأندلسيين، وعن طريق المولدين تداخلت العربية والرومانية.

إلى جانب المولدين كان هناك عدد كبير من أهل البلاد احتفظ بديانته من مسيحية ويهودية، لكنه تعلم العربية وأخذ بأسلوب العرب في الحياة، وهؤلاء يعرفون باسم المستعربون أي الذين تعربوا ولم يدخلوا الإسلام وقد كفلت لهم الدولة حرية العقيدة فابقت لهم كنائسهم وأديرتهم ولم تتعرض لهم في ذلك بشيء، ويمثل الاستعراب تأثير الثقافة العربية في غير المسلمين من الإسبان، وقد بلغ الأمر بهم أن صاروا مولعين بالتراث العربي من أدب وشعر حتى أن المطران الفارو شكوا من انتشار الثقافة العربية بين شباب النصراري.

### ج- دور المستعربين في نقل الحضارة العربية إلى اسبانيا

بالإضافة إلى نقل العربية والولوع بها ساهم المستعربون في نقل الحضارة العربية إلى اسبانيا المسيحية بفضل اتقائهم للغتين العربية واللاتينية الحديثة، حيث كانوا أداة اتصال بين شطري اسبانيا وهم منذ الفتح لم ينقطعوا عن الهجرة إلى الأراضي المسيحية لنقل ما تعلموه في الأندلس من مبادئ الإسلام الحنيف وتعاليمه السمحة ونقل ثقافتهم الإسلامية، وبحكم تفوق الحضارة العربية ظهرت تأثيراتها في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا منذ القرن الثامن ثم تضاعفت تأثيراتها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر حيث أخذت تنتقل على نطاق واسع من اسبانيا إلى الشعوب العربية الأخرى ذات الثقافة اللاتينية البحتة.

### 5: العلاقات الاجتماعية

**أ- الزواج بين المسلمين والنصارى:** يعد الزواج من العوامل الاجتماعية التي ساعدت على اندماج السكان بالأندلس بين المسلمين والنصارى، حيث دخل المسلمون إلى الأندلس فاتحين ولم يكن معهم نساؤهم، وبعد أن استقر الوضع لجأوا إلى مصاهرة سكان البلاد من النصارى، والدين الإسلامي لا يمنع ذلك، واستمرت العديد من الزوجات النصرانيات من ممارسة شعائهن الدينية دون أي مضايقة من

أزواجهم المسلمين، فتزوج عبد العزيز بن موسى بن نصير من ايجلونا **Egilona** أرملة لذريق، وتسميها المصادر الإسلامية أم عاصم، وفي عصر الإمارة ولد الأمير هشام الرضا 172-180هـ/788-796م، أم اسبانية وتزوجت سارة القوطية ابنة ألمند بن غيطشة من عيسى بن مزاحم، وينحدر المؤرخ ابن القوطية من نسلهما، وغيرهم الكثير، وأصبحت هذه الظاهرة منتشرة بين العامة، هكذا امتزج الدم المسلم بالاسباني، ونتج عن هذه المصاهرة آثار ايجابية ساهمت في نقل العادات والتقاليد العربية والإسلامية والإرث الحضاري بلغتهن إلى مجتمعاتهن النصرانية، بما فيه من ألفاظ وأزياء وكذلك العلوم والمعارف.

**ب- التعايش والتسامح:** تعايش جميع سكان الأندلس تحت ظل الحكم الإسلامي، في جو يسوده نصيب وافر من التسامح والمساواة، والاحترام لفكر الطرف الآخر، وتعايشوا جنباً إلى جنب وتعمقت العلاقات الاجتماعية والصدقات، ويشير ابن الخطيب إلى تميز الصداقة التي نشأت بين أربطاش بن غيطشة قومس الأندلس، وبين أمراء وحكام المسلمين، وكان القاضي سعيد بن محمد صديقاً لربيع بن توديلفو القومس، وأمينا لعهد وأمانته.

ولقد دخلت العديد من الأسماء والألقاب الاسبانية إلى اللغة العربية، مثل: "فرتون" ولب وقصي وغيرها، وأضاف العرب المسلمون إلى أسماءهم المقاطع الاسبانية مثل الواو والنون للتكبير مثل: خلدون من خالد، وزيدون من زيد، وحمدون من حامد، وحفصون من حفص.

وتعدى التأثير إلى الملابس والمأكّل، وامتزجت العديد من التقاليد والعادات والطقوس بينهما، حيث شارك المسلمون والنصارى في الاحتفال بالأعياد وشاركوهم طقوسهم الدينية، واستمرت التأثيرات المتبادلة بين الطرفين في تجانس واحترام متبادل.

## الدرس الثاني: الغزو النورماني للأندلس.

عناصر الدرس:

تمهيد.

النورمان التسمية والأصل.

أسباب غزو النورمان لبلاد الأندلس.

غارات النورمان على بلاد الأندلس في عصر الإمارة

نتائج الغزو النورماني الأول لبلاد الأندلس

**تمهيد:** عندما أسس بنو أمية دولتهم في الأندلس كانت تتهددها مخاطر وتحديات خارجية تمثلت في الممالك النصرانية في الشمال رغم ما تخللته من فترات سلم وعلاقات دبلوماسية، وقد عرفت بلاد الأندلس تحدياً لم يسبق أن تعاملت معه، تمثل في خطر النورمان هاته الشعوب القادمة من أقصى شمال أوروبا رغبة في الحصول على مناطق مناسبة للاستقرار، وعرفت هذه الشعوب موجة من التوسعات في أواخر القرن التاسع الميلاد ووصل نفوذهم إلى أراضي الإمبراطورية الكارولنجية ووصلوا حتى بلاد الأندلس والعدوة المغربية وجنوب إيطاليا، فمن هم النورمان؟ وما هي الأسباب التي دفعتهم إلى غزو بلاد الأندلس؟ وما هي ردت فعل الخلافة آنذاك؟

### أولاً: النورمان التسمية والأصل:

تعددت التسميات التي أطلقها المؤرخون على هذه الشعوب، واختلف في أصل تسمي+تهم بهذه الأسماء، الجوس والأردمانيين، الروس، النورمانديون والفايكنج، وترجع هذه التسميات إما لمعتقداتهم أو لجغرافيا بلادهم. فالمصادر الإسلامية جلتها متفقة في تسميتهم إلى معتقداتهم بالجوس<sup>1</sup>، وهو مصطلح يطلق على أتباع الديانة الزرادشتية نسبة لمؤسسها زرادشت الجوسي وهو نبي الجوس حسب اعتقادهم<sup>2</sup>، وقد أطلقت عليهم المصادر العربية والإسلامية هذه التسمية<sup>3</sup> لاستخدامهم النيران في معسكراتهم، وعند إغارتهم على المدن والسواحل، كانوا يضرمون النيران لإثارة الرهبة والخوف في نفوس الناس والتمويه، وكذلك لتقديسهم للنار إلى حد العبادة فكانت نارهم لا تنطفئ<sup>4</sup>.

وسماهم اليعقوبي بلفظ الروس غداة دخولهم أول مرة مدينة اشبيلية بقوله: "...دخلها الجوس الذين يقال لهم الروس"، وذلك لتشابه العادات والمعتقدات مثل حرقهم لجثث موتاهم<sup>5</sup>.

---

1 - ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص87، شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج23، ص228.  
2 - المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ج1، ص175.  
3 - حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، (طبعة خاصة)، دار الرشد، القاهرة، 1992م. ص323.  
4 - اليعقوبي: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ص194.  
5 - اليعقوبي: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت)، ص194.

بينما أطلق عليهم ابن سعيد اسم الأردمانيين الجوس<sup>1</sup>، والأردمانيون جمع لكلمة أردماني وهم النورمانديون، وقد كان من عادة أهل الأندلس قلب النون إلى همزة في أسماء الأعلام، فمثلا يقولون "أربونة" والأصح هو "نربونة"<sup>2</sup>. وقد ذكر ابن الخطيب أنه كان يطلق عليهم الإقليش، وفي بلاد المشرق أطلق عليهم الفرنج أو الإنكثير والمقصود منها الإنكليز<sup>3</sup>.

أما الذين ربطوا تسميتهم بالموقع الجغرافي فهي متعددة منها:

الفايكنج(vikings) وترجمته المراجع الاسبانية بالمحاربين<sup>4</sup>، بينما كان معناها في محطات أخرى بسكان الفيوردات أو الخلجان وهي ظاهرة تميزت بها شواطئ الجهات الغربية من أوروبا<sup>5</sup>، والمقصود بهم سكان شبه جزيرة اسكنديناوة أو اسكندنافيا القدامى وهم الدانيون(Danes) أو الدانماركيون، والنرويجيون، والسويديون<sup>6</sup>. وكلمة اسكندنافيا(scandinavia) من أصل نوردي وتعني أرض الضباب<sup>7</sup>.

وفيما يخص تسميتهم بالنورمان، فتعني سكان الشمال أو رجال الشمال أي من قدموا من الشمال، وأخذت هذه التسمية من الموقع الجغرافي لبلاد النورمان الواقعة في شمال أوروبا، وهي تحريف لكلمة Norsemen الإنكليزية أو Normadas الإسبانية<sup>8</sup>.

ويعود أصلهم إلى الجنس الآري القديم وقد سكنوا شبه جزيرة اسكنديناوة(السويد والنرويج)، وهناك من يرجعهم إلى الأقوام الجرمانية المتبربرة من العنصر التيتوني.

## ثانيا: أسباب غزو النورمان لبلاد الأندلس

- 1 - ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ج1، ص49.
- 2 - حسين مؤنس، " غارات النورمانيين على بلاد الأندلس بين سنتي (229 - 248 هـ / 844 - 859م)"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد/6، مج1، (ماي 1994م)، ص24.
- 3 - ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتاب العلمية، بيروت، (د ت)، ج2، ص20.
- 4 - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نخضة الشرق، مصر، 1984م، ص98.
- 5 - سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1976م، ج1، ص176.
- 6 - محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1986م، ص231.
- 7 - محمد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1999م، ص182.
- 8 - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، (د ت)، ص131.

تعددت الأسباب والدوافع التي أدت بالنورمان للخروج من أراضيهم في الشمال الغربي من أوروبا، ما بين الطبيعة المتعلقة بالموقع الجغرافي لبلادهم، والسياسة المتعلقة بنظام الحكم السائد عندهم والاقتصادية المرتبطة بالمستوى المعيشي، والاجتماعية والنفسية التي ترتبط بطبيعة هذه الشعوب.

**1-الطبيعية:** تميزت شبه جزيرة اسكنديناوة بكثرة المرتفعات والهضاب ، اضافة إلى كثرة البحيرات المتجمدة القديمة، التي تنتمي إلى العصر الجليدي<sup>1</sup>، وقد وصفت هذه البلاد بالأرض الكثبية وذلك لمسالكتها الوعرة ومناخها القاسي، وتعرضها الدائم للرياح الشديدة، كما تميزت سواحلها بكثرة الخلجان العميقة، وكثرة الإلتواءات والتعاريح أيضا<sup>2</sup>.

كما عرفت هذه البلاد بغاباتها الكثيفة، والمتنوعة من أشجار الزان والبلوط في الدانمارك، واشتهرت بلاد النرويج بتربتها الحجرية وسلاسلها الجبلية الشاهقة، أما ما غلب على طبيعة بلاد السويد كثرة المستنقعات والمرتفعات، كل هذا لم يسمح للنورمان بالإستقرار إلا على الخلجان ورؤوس الفيوردات<sup>3</sup>، وفي السهول الساحلية الضيقة التي هي مجرد مساحات صغيرة من الأرض الصعبة التي لا تصلح للزراعة<sup>4</sup>.

أدت هذه الطبيعة القاسية إلى صعوبة الحصول على لقمة العيش، وسدّ أدنى حاجيات هؤلاء الأقوام، مما دفعهم للخروج من أراضيهم بحثا عن مناطق غنية بالثروات معتمدين على السلب والنهب والقرصنة<sup>5</sup>.

**2-السياسية والعسكرية:** عرفت شعوب الفايكينغ بأنها كانت لا تخضع لقوانين ولا سلطة مركزية، ومع أواخر القرن التاسع ميلادي، الثالث هجري عرفت السلطة الملكية والمركزية تطورا بطيئا، وأصبحت هذه الأخيرة تضيق على الأفراد والمحاربين المتعلقين بحريتهم الرافضين للخضوع للقوانين مما دفعهم إلى مغادرة أوطانهم، والبحث عن فرص أخرى والمغامرة خارج حدود بلادهم<sup>6</sup>، وقد كان محور النظام السياسي والاجتماعي هو القائد العسكري، والذي

1 - محمد إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص184.

2 - عبد الوهاب عيفة، الغزو النورماندي لفرنسا واسبانيا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف باقة رشيد، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014م، ص 32.

3 - السيد الباز العريبي، المرجع السابق، ص351.

4 - سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص174.

5 - س. ورن هلستر، المرجع السابق، ص130.

6 - نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص390، س، ورن هلستر، المرجع السابق، ص130.

كان يعتمد في بسط سلطانه، على شجاعته الشخصية وقوته مكتسبا ذلك من مشاركته في الحروب والمغامرة في جذب أتباع له من المحاربين<sup>1</sup>.

وقد ظهرت في بعض المناطق أسر ارستقراطية تنعم بقداسة دينية، اتخذ زعماء هذه الأسر نوعا من الحكم خاصة في النرويج<sup>2</sup>، حيث نشأت الملكية في الفايكنغ وتركزت السلطة في يدي هازولد الأشقر (Hatolid Fairhair)، مما دفع بزعماء القبائل يفضلون الهجرة إلى مناطق جديدة، على الخضوع في ظل نظام جديد لم يألفوه<sup>3</sup>، كما شهد القرن التاسع ظهور الملكية في السويد والدانمارك والتي كان لها دور فعال، في حركة هذه الشعوب من بلادها إلى المناطق المجاورة لهم<sup>4</sup>.

كما كان أنه من أهداف شارلمان بعد توليه حكم الامبراطورية الكارولونجية ضم جميع العناصر الجرمانية المعارضة له في اوروبا ودمجها في دولة واحدة، فبدأ بتوجيه حملاته نحو الشمال<sup>5</sup> ضد السكسون والفريزيون الذين كانوا هم القوة البحرية التي تقف في وجه توسعات النورمان في البر الأوروبي وتمنعهم من مهاجمته، وقد أدى انتصار شارلمان على هذه الشعوب إلى فتح المجال لشعوب الفايكنغ للخروج من مناطقهم، والبحث عن مناطق جديدة ذات بيئة مناسبة للعيش والاستقرار<sup>6</sup>، ولم تلق شعوب الفايكنغ الغازية للأراضي الأوروبية في بداية توسعاتها سوى مقاومات ضعيفة في وجهها. ما كشف عن امكانية تحقيقهم لغنائم عظيمة بفضل حملاتهم المتتابعة والقوية والمعروفة بتنظيمها الشديد<sup>7</sup>.

استغلال الإسكندنافيين ضعف الإمبراطورية الكارولونجية خلال القرن التاسع ميلادي، بعد وفاة شارلمان وتقسيم إمبراطوريته على أولاده لشن غاراتهم، ليس فقط عن طريق مصبات الأنهار الشمالية، ولكن أيضا عن طريق

1 - كرسنوفر دوسن، المرجع السابق، ص 293.

2 - السيد الباز العريبي، المرجع السابق، ص 354.

3 - سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 176.

4 - السيد الباز العريبي، المرجع السابق، ص 354.

5 - عبد الأمير محمد أمين، محمد توفيق حسن، التاريخ الأوربي في العصور الوسطى، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1978م، ص 108.

6 - سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 175. السيد الباز العريبي، المرجع السابق، ص 350.

7 - نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص 390.



المحيط الاطلنطي، ولقد كان هدف الشماليين من هذا ليس من أجل السلب والنهب فقط وإنما من أجل اكتساب مناطق استقرار لهم في القارة الأوربية<sup>1</sup>.

أما فيما يخص الجانب العسكري فقد عرفت شعوب الفايكينغ بقسوتها، وقوة تحملها وروح البطولة التي تسري في دمائهم، واعتزازهم بتفوقهم عن غيرهم من الأجناس في اعدادهم الغير عادي وتخطيطهم الحربي المتقن باعتبارهم بحارة وبناءة سفن<sup>2</sup>.

**3-الاقتصادية:** إن طبيعة البلاد القاسية وانتشار المستنقعات، أضعفت من قيام الحياة النباتية، وحدث من توسع مساحات الأراضي الزراعية، كما أن استعمال شعوب الفايكينغ للوسائل البدائية في النشاط الزراعي لم يسمح بتطورها<sup>3</sup>. وبما أن بلادهم عرفت بكثرة أنهارها والبحار القريبة منها بحر الشمال وبحر البلطيق، والتي استقروا في سواحلها والشواطئ القريبة منها فإن ذلك ساهم في تطور معرفتهم بأمور الملاحة وصيد الأسماك وبناء السفن الخفيفة سريعة الحركة<sup>4</sup> القادرة على مجابهة العواصف، والتي كانت تسير بقوة المجاديف والأشعة<sup>5</sup>.

لقد كان الفايكينغ عملاء تجارين قدامى للفريزيين، وأدى غزو فريزيا التي تعتبر منفذا هاماً لاقتصاد النورمان من طرف الفرنجة إلى تراجع نشاطهم التجاري وشله، وبالتالي مضايقتهم اقتصادياً. مما دفعهم إلى التوجه نحو غرب أوروبا الذي أغراههم بثرواته<sup>6</sup>.

**4-الاجتماعية:** عرفت بلاد اسكندينايا تزايداً في أعداد سكانها، بسبب تعدد الزوجات حتى ضاقت بهم بلادهم الفقيرة ولم تتسع لهم الأشطرطة الساحلية الضيقة الممتدة على طول الشواطئ، مما دفعهم للهجرة من بلادهم للبحث عن مناطق استقرار جديدة<sup>7</sup>، وقد أدت هجر الإسكندافيين إلى الخارج في العصر الروماني إلى انخفاض

1 - هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى - الحياة الاقتصادية والاجتماعية - ترجمة عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دم)، 1996م، ص28.

2 - موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة على السيد على، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص38.

3 - محمد إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص187.

4 - السيد الباز العريبي، المرجع السابق، ص351.

5 - س. ورن هيلستر، المرجع السابق، ص130.

6 - سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص175.

7 - المرجع نفسه، ص 179.

مستوى المعيشة<sup>1</sup>، كما تزامن التزايد السكاني المفاجئ الفايكينغ لإدراكهم لقوتهم في الوقت الذي حققوا فيه التقدم في بناء المراكب والسفن<sup>2</sup>.

وقد اختص المجتمع النورماني بثقافته العريقة، وجانب كبير من التطور في بعض النواحي رغم العزلة التي كانوا يعيشونها، حيث أصبحت الحرب مصدرا للسلطة والثروة والمكانة الاجتماعية، ومشغلة دائمة للأدب والفن والديانة<sup>3</sup>، كما أن الفايكينغ عرفوا بحس المغامرة والبطولة في سبيل السلب والنهب، وأعمال القرصنة التي كانت نشاطا طبيعيا لهذه الشعوب البحرية<sup>4</sup>.

كما غلب على شعوب الفايكين الشعور بالطمع والحسد من البلاد المتحضرة القريبة منهم، مما ولد لديهم الرغبة في الإغارة عليها لنهب ثروتها أو على الأقل مشاركتها حضارتها.

### ثالثا: غارات النورمان على بلاد الأندلس في عصر الإمارة

#### 1-هجوم النورمان على الأندلس في عهد عبد الرحمان بن الحكم(206-238هـ/821-852)

بدأت تحرشات النورمان على الشواطئ الإسبانية بغارة على سواحل أستورس الشمالية، فنزلوا بالساحل عند بلدة جيحون بغية النهب والسلب<sup>5</sup>، ثم خرجوا عبر نهر الجارون وأغاروا على إقليم جليقة وعاثوا فسادا في شواطئها، فبعث لهم ملكها راميرو (**Ramiro**) جيشا ردهم وأحرق سفنهم وأجبرهم على التراجع كانت هذه أولى الغارات والتحرشات التي قام بها النورمان على الشواطئ الإسبانية، ومن هناك اتجهوا صوب السواحل الغربية والجنوبية المطلة على المحيط الأطلسي يجوبونها طلبا للسبي والغنيمة، واقتحموا الشواطئ الإسلامية الأندلسية في غزوتهم الأولى<sup>6</sup>.

1 - س. ورتلستر، المرجع السابق، ص 131.

2 - موريس بيشوب، المرجع السابق، ص 37.

3 - كرستوفر دوسن، المرجع السابق، ص 293.

4 - السيد الباز العريبي، المرجع السابق، ص 389.

5 - حسين مؤنس، غارات النورمانيين على بلاد الأندلس...، ص 30.

6 - فاطمة بنت حاي بن يحيى الحججي السيفي، المرجع السابق، ص 88.

وقد عرف عن النورمان أنهم كاموا يتحاشون الأماكن المحصنة بوسائل الدفاع والحراسة وكانوا يهاجمون السواحل المكشوفة التي لا تعترض عمليات سلبهم ونهبهم، وقد كانت السواحل الغربية لبلاد الأندلس (الثغر الأدنى) غير محصنة ومكشوفة، لهذا كانت وجهة النورمان إلى هذه المناطق من الأندلس<sup>1</sup>.

ويذكر ابن خلدون أن أول ظهور للنورمان الدانيين في السواحل الغربية الأندلسية في عهد عبد الرحمان بن الحكم (206\_238هـ/821-852) في سنة 226هـ/841م<sup>2</sup>، بينما تتفق جل المصادر التاريخية على أن أول ظهور للنورمان الدانيين في بلاد الأندلس، كان في ذي الحجة 229هـ/آب (اغسطس) 844م<sup>3</sup>، في سواحل مدينة أشبونة تقع في غرب الأندلس على البحر المظلم (المحيط الأطلسي)<sup>4</sup>، أين أرسل عاملها وهب الله بن حزم كتابه إلى الأمير عبد الرحمان بن الحكم، يخبره أنه حلّ بالساحل أربعة وخمسون مركبا للمجوس، ومعها أربعة وخمسون قاربا، فأرسل الأمير عبد الرحمان كتبه إلى العمال بالإحتراس وأخذ الحيطه<sup>5</sup>.

نزل النورمان بثغر مدينة أشبونة عند مصب نهر تاجة<sup>6</sup>، احتلوا بسيط المدينة وأقاموا بها ثلاثة عشر يوما، عملوا على السلب والنهب والقتل، وقد كان بينهم وبين أهلها وقائع عديدة، وقتلوهم قتالا شديدا وصدوهم، ولما وجد النورمانيون استحالة تقدمهم بسبب ما لاقوه من أهل مدينة أشبونة اضطروا إلى العودة لسفنهم وتوجهوا جنوبا للبحث عن مصب وادي آخر يصعدون فيه للوصول إلى اشبيلية<sup>7</sup>، ثم ساروا إلى قانس<sup>8</sup> Cadiz ويصف الزهري ظهورهم فيها بأنه كان بأنه كان في البحر في مراكب كبار كلن يطلق عليها أهل الأندلس القراقير وكان يخرج فيها

- 1 - احمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د ت)، ص 139.
- 2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ج4، ص165.
- 3 - ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان على الحجى، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص250. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، مج6، ص83. النويري، المصدر السابق، ص244.
- 4 - الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص61. القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ج5، ص222.
- 5 - العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، (د ت)، ص98. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص324.
- 6 - نهر تاجة، نهر عظيم يشق طليطلة، يخرج من بلاد الجلاقة ويصب في البحر الرومي، وهو نهر موصوف في العلم. أنظر الحميري، المصدر السابق، ص128.
- 7 - النويري، المصدر السابق، ج23، ص224. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس - من الفتح العربي إلى سقوط قرطبة -، دار المعارف، بيروت، 1961م، ص235.
- 8 - قانس، جزيرة قرب الأندلس على البحر المحيط، طولها اثنا عشر ميلا بها ابار ومياها عذبة، وفيها اثار عظيمة. أنظر القزويني، اثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د ت)، ص550. شكيب أرسلان، الحلل السنديسية في الأخبار الأندلسية، الدار التقدمية لبنان، 2008م، ج1، ص208.

أقوام يعرفون بالمجوس<sup>1</sup>، كثف المجوس هجماتهم على قادس واحتلوها<sup>2</sup> وبعدها توجهوا إلى شذونة<sup>3</sup> والتي وقعت فيها بينهم وبين المسلمين ملاحم.

وهناك جملة من العوامل ساعدت على استيلاء النورمان على اشبيلية:

## 2- العوامل التي ساعدت على استيلاء النورمان لمدينة اشبيلية:

أ- لم يكن في اشبيلية أسوار مما جعلها غير محصنة أمام الأعداء

ب- عدم توقع أهل اشبيلية مهاجمة مدينتهم لبعدها النسبي عن الساحل، ولم يحسبوا وجود نهر الوادي الكبير الذي سلكته قوات النورمان للوصول إلى المدينة<sup>4</sup>.

ج- قوة بأس النورمان وقوة عتادهم وعدتهم الحربية وترويعهم للأندلسيين باستعمالهم للأسهم المشتعلة، مما جعل الناس يتراجعون خوفا منهم.

د- ميزة السرعة التي كان النورمان، حيث أنهم كانوا يقومون بغارات خاطفة، ويهجمون فجأة يقتلون السكان، ويحرقون المساكن وينهبون، ثم يعودون بسرعة لمراكبهم وقد أشعلوا النيران خلفهم<sup>5</sup>.

هـ- ضعف البحرية الإسلامية الأندلسية التي لم تكن تمتلك سوى بعض السفن التي تتركز في الجهة الشرقية من الأندلس<sup>6</sup>.

استقر الناس بقرطبة وما والاها من المدن، من أول حركة للمجوس عند احتلالهم أول الغرب وأخذهم بسيط لشبونة وجهاز الأمير عبد الرحمان بن الحكم جيشا<sup>7</sup> بقيادة حاجبه عيسى بن شهيد<sup>8</sup> وأتبعه بقوات أخرى

1 - الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، (د ت)، ص 92.

2 - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 99.

3 - شذونة، مدينة في غرب الأندلس، من أعمال اشبيلية متصلة بكور مورور، وهي من المدن الجلييلة القدر، كثيرة الخيرات كريمة البقعة عذبة التراب.

أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د ت)، مج 3، ص 329. الحميري، المصدر السابق، ص 339.

4 - صالح ناطق مطلوب، المرجع السابق، ص 111.

5 - أحمد شلي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط 10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1995م، ج 4، ص 93.

6 - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، (د ت)، ص 131.

7 - ابن القوطية، المصدر السابق، ص 79. ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص 87.

8 - عيسى بن شهيد، هو عيسى بن شهيد بن وضاح الأشجعي. كان جده وضاح مولى لمعاوية بن مروان بن الحكم، ودخل جده شهيد بن عيسى مع عبد الرحمان الداخل. اشتهر عيسى بن شهيد بالحلم والوقار، وتقلد في عهد عبد الرحمان الأوسط عدة مناصب منها النظر في المظالم، والحجابة. تصرف

على رأسها مجموعة من القادة عبد الله بن المنذر الاسكندراني، وعبد الرحمان بن كليب بن ثعلبة، ونزلوا بموقع يقال له مشدوم أو الشرف بشرق اشبيلية تقابل المسلمون مع النورمان وقتلوا منهم نحو سبعين وفروا إلى مراكبهم، إلا أن المسلمين تراجعوا وتوقفوا ظنا منهم أنهم تخلصوا منهم<sup>1</sup>.

عندما رأى النورمان أن الأندلسيين تراجعوا عن قتالهم، أعادوا تنظيم صفوفهم وجاءهم المدد بمراكب جديدة واستعدوا لجولة ثانية للقتال<sup>2</sup>، وشنوا غاراتهم على المدن والمناطق المجاورة، ولما بلغ الأمير عبد الرحمان ما فعله قادتهن جهز جيشا آخر بعد أن استقر الناس من جميع المدن المجاورة، فاجتمعوا بقرطبة، وجعل على رأس الجيش محمد بن سعيد بن رستم، وقاتل الجوس في اشبيلية.

وقد استعان الأمير عبد الرحمان بن الحكم من أهل الثغر الأدنى بموسى بن قسي وقد كان خبيرا بحرب النصارى والعصابات، ولم ينضم إلى جيش الأمير، استمرت المعارك اربعة أيام متواصلة كللت بنصر الأمير على الغزاة وقتل الكثير منهم وأسر ما لا يقل عن أربعمئة من النورمانيين، اعتنق الكثير منهم الإسلام وأقاموا في الوادي الكبير جنوب اشبيلية، واشتغلوا بتربية المواشي وصناعات الألبان<sup>3</sup>.

كانت المدة التي بقي فيها النورمان في اشبيلية اثنان وأربعون يوما<sup>4</sup> وبين ظهورهم في المياه الإقليمية الأندلسية

#### رابعا: نتائج الغزو النورماني الأول على بلاد الأندلس

**1- تحصين مدينة اشبيلية:** بعد التخلص من خطر الجوس النورمان، أصدر الأمير عبد الرحمان قراراته بإصلاح ما خربوه في البلاد وقد كانت هجماتهم لها الأضرار الواضح في التخطيط المعماري والاهتمام بتحصين مدينة اشبيلية<sup>5</sup>.

---

بنوه للأمرء والخلفاء في الخطط من الإمارة والحجابه والوزارة والكتابة إلى انقراض الدولة الأموية بالأندلس. أنظر بن خاقان الإشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التانس في ملمح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، (الحاشية رقم 10)، ص162. عبد الوهاب عيفة، المرجع السابق، ص82.

1 - العذري، المصدر السابق، ص99. ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص87.

2 - أسامة عبد الحميد السامرائي، القرصنة النورماندية على سواحل الأندلسية (229 - 248 هـ/ 843 - 871م)، مجلة اداب الفراهيدي، العدد/ 04، 2010م، ص196.

3 - السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص238.

4 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص88.

5 - ابن خلدون، المصدر، السابق، ج4، ص166. محمد عبده حتملة، الأندلس - التاريخ والحضارة والمحنة -، مطابع الدستور التجارية، الأردن، 2000م، ص265.

**2- تطوير البحرية الأندلسية:** حيث أمر الأمير عبد الرحمان بتشيط دار الصناعة باشبيلية، وانشاء

المراكب وجهاز الرجال المدربين في هذا المجال، وأمرهم بالالتحاق بالسواحل وتزويدهم بما يحتاجونه.

**3- التفاهم الدبلوماسي:** بين الأمير عبد الرحمان الأوسط وملك النورمان بطلب من المنهزمين النورمان

فكان بينهم تفاهم دبلوماسي ومراسلات.

## الدرس الثالث: علاقة الاندلس بالأمبراطورية الرومانية.

عناصر الدرس:

بداية ظهور الجزمان والزحف على الإمبراطورية الرومانية

علاقات الإمبراطورية الرومانية مع الأندلس

**تمهيد:** لدراسة تاريخ أوروبا في العصور الوسطى يجب أن نلقي الضوء على أحوال الإمبراطورية الرومانية في أقصى مراحل قوتها وتوسعتها، ونستهدف من هذا الاستعراض فهم الأسس والعوامل التي ساهمت في تطور الأحداث المهمة لتاريخ الأوربي عامة<sup>1</sup>. والواقع أن الإمبراطورية الرومانية كانت أقوى وحدة حضارية وسياسية عرفها التاريخ، ضمن هذه الإمبراطورية بين حدودها جميع مراكز الحضارات القديمة ، وذلك عندما بلغت أقصى اتساعها على عهد الإمبراطور تراجان(98-117م)<sup>2</sup>.

لقد امتدت الإمبراطورية الرومانية من المحيط الأطلسي غربا حتى الفرات شرقا، فشملت في الغرب إنجلترا وغاليا وأيبيريا وإيطاليا و إيليريا فضلا عن شمال إفريقيا من المحيط الأطلسي حتى طرابلس، أما شمال الجزء الشرقي من الإمبراطورية في مراحل قوتها إلى بلاد فارس والهند، وإلى بلاد النوبة والسودان، ودخلت جوف الصحراء الكبرى عبر جبال الأطلس (المغرب)، وكما بلغت الشعوب الجرمانية فيما بعد شمال أوروبا وشرقي نهر الريان والدانوب<sup>3</sup>.

### بداية ظهور الجزمان والزحف على الإمبراطورية الرومانية

بدأت حركة التحرر الاسكندنافية في منتصف القرن التاسع ميلادي الثالث هجري نتيجة لأسباب عدة متضمنة ثلاث تقسيمات السويديون والدينامركيون، النرويجيون، اشتركت هذه الشعوب في الهجرات وقد خرجت هذه الشعوب الشمالية فجأة في موجة توسعات حملتهم إلى ما وراء العالم الأوربي بعد أن ظلوا قابعين في إقليمهم الضيقة المطلة على بحر البلطيق، وامتد نشاطهم من أمريكا الشمالية إلى بحر قزوين ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى البحر المتوسط.

حيث توجه السويديون إلى الشرق بينما توجه الدنماركيون والنرويجيون إلى الغرب أما السويديون إلى الشرق، أخذ السويديون يقيمون محطات تجارية على امتداد الشاطئ الشرقي لبحر البلطيق وتوغلو في بلاد روسيا وفي الاستلاء على قسطنطينية التي كان يطلق عليها اسم ملجارت واعتنقوا المسيحية في أواخر القرن الحادي عشر ميلادي.

1 - رحيم علي طرخان، ( دولة القوط الغربيين)، مكتبة النهضة المصرية شارع عربي بالقاهرة، 1908، ص 2-3.

2 - سعيد عاشور عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص7.

3 - سعيد عاشور عبد الفتاح، المرجع السابق، ص8.



وتوجه النروجيون إلى جزر "ستلاندا" و"فارو" وإيرلندا وجزيرة مان ومنها توجهوا إلى أمريكا الشمالية، بينما استغل الدانيون قربهم من نهر المانش وتوجهوا إلى فيزييا وإنجلترا

وفرنسا حتى وصلوا إلى اسبانيا، فكانت نوايا هاته الشعوب في البداية هو النهب والكسب والرجوع إلى بلادهم ثم أصبحت نيتهم وجود مناطق الاستقرار بها.

وقد بدأت الهجمات البربرية على روما من الصخراء الكبيرة بعد غزوات حاشدة في أوروبا أواخر القرن الرابع ميلادي عندما داهم المحاربون الاوراسيون شمال أوروبا دفعوا بالعديد من القبائل الجرمانية للنزوح حتى حدود الإمبراطورية الرومانية.

وتعرضت بعد ذلك الإمبراطورية الرومانية لكثير من الضغوطات الخارجية من الجرمان المتبريرين والفرس، ففي أواخر القرن الثاني ازدادت الضغوط على حدود إمبراطورية الرومانية فقد تعرضت لهجمات متتالية من القبائل الجرمانية المستقرة على جهتي الراين والدانوب وحتى أواخر القرن الثاني الميلادي وفي القرن الثالث دخلت القبائل الجرمانية في شمال منطقة الراين الأدنى في حلف باسم الفرنجة، وتأسس كذلك حلف آخر في الجنوب منطقة الدانوب الأدنى تألف حلف من قبائل متنوعة القوط والماركوماني وماكان من هذه القوات والقبائل إلا أن دخلت حدود الإمبراطورية واقتحمت حصونها.

وذلك طمعا في الحصول على الطعام والمنفعة كما تعرضت كثير من مناطق الإمبراطورية في الجنوب إلى النهب من تلك القبائل<sup>1</sup>.

### علاقات الإمبراطورية الرومانية مع الأندلس:

حرصت الدولة الرومانية على إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، فقد وصلت سفارة من قبل الإمبراطور الألماني اوتو الكبير، إلى الأندلس سنة 342هـ/953م، وكانت برئاسة الراهب جان دي جورز، وهو أحد علماء عصره في البحث والمناظرة<sup>2</sup>، ولكن ممثل الإمبراطور لم يكن على قدر من السلوك الدبلوماسي، فقد وصلت إلى مسامع الخليفة الناصر ان السفير يحمل رسالة تضم عبارات تمس مقدسات العقيدة فرفض مقابله، وتم الاتفاق على إرسال سفارة عربية إلى اوتو الكبير تطلب منه تغيير سفارته، وأوكل هذه المهمة

1 - محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، دار المعارف، ص26.

2 - واط، مونتيكمري، تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة عادل نجم عبو (الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1982)، ص65.

إلى احد المستعمرين الذين يجيدون اللغة اللاتينية إجادة تامة ويدعى رثوندو أو ربيع بن زيد، "إذ كان من عادة المستعمرين اتخاذ الأسماء العربية إضافة إلى أسمائهم الأجنبية " وقد استقبلت هذه البعثة من الإمبراطور في بلاطه بمدينة فرانكفورت، وأنتهت مهمتها بنجاح وعادت إلى الأندلس برفقة سفارة ألمانية جديدة حملت توجيهات محددة إلى السفارة السابقة<sup>1</sup> وتمكن السفير ربيع بن زيد (رثوندو) أثناء تواجده في ألمانيا، من لقاء المؤرخ الألماني لوتيراند، وحثه على وضع كتاب في التاريخ يهتم بإخبار وحوادث العصر.

إن أكثر ما أغوى شعوب النورمان لغزو بلاد الأندلس هو شهرتها وغناها بالثروات، لذلك أثناء غاراتهم عليها ركزوا على نهب وسلب كل المناطق التي مروا عليها، إلا أن الأندلسيين والحكام الأمويين كانوا لهم بالمرصاد، وقد ساعدت هذه الغارات على الأندلس في عصر الإمارة (138-316هـ/756-928م)، في توجيه الأمراء وتشجيعهم إلى ضرورة تحصين السواحل الغربية والجنوبية، وزيادة اهتمامهم بتطوير البحرية الأندلسية والعدة العسكرية للجيش، وقد أثمرت جهود الأمير عبد الرحمان في عهد ولده الأمير محمد الذي تمكن وبقدرة عالية من هزيمة النورمان وتكبيدهم خسائر فادحة.

---

1 - الحجى ، عبد الرحمان، ( الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، دار الرشاد، بيروت، 1969، ص450.

## الدرس الرابع: علاقة المغرب الاسلامي بالنورمان والدولة البيزنطية.

عناصر الدرس:

أوضاع النورمان في صقلية

بداية الغزو النورماني

الانتفاضات ضد المحتلين النورمان:

**تمهيد:** كان حكم النورمان قد توطد في مطلع القرن 6 الهجري 12 ميلادي في جزيرة صقلية بعد أن احتلوها عنوة من المسلمين في 484هـ — الموافق ل1091م موقعين بذلك نهاية الحكم والوجود العربي في المنطقة الذي استمر أكثر من قرنين من الزمان لتفتح لهم هذه المنطقة وتثير شهيتهم لضم إفريقية تحركهم أطماعهم الإستراتيجية والاقتصادية ودوافعهم الدينية مستغلين بذلك فرصة ضعف إمارة بني زيري وتقلص مناطق نفوذها بسبب الصراع القبلي للقبائل الهلالية التي استوطنت المغرب سنة 443 هـ / 1051م بأمر من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، الى جانب ضعف الدولة الفاطمية وانشغالها بالحروب الصليبية ، وانشغال المرابطين في مواجهة الموحدون الذين ظهوروا كقوة لا يستهان بها على مسرح الاحداث السياسية في المغرب الأقصى، وفي ظل هذه الظروف وجد النورمان الفرصة مواتية لتنفيذ مشروعهم التوسعي فالانطلاق من صقلية نحو الساحل المغربي فبدأوا بالاستلاء على جزيرة خربة عام 529هـ/1135م ومن ثم بقية الساحل الافريقي، وبذلك أصبحوا في تماس مباشر مع مدن الساحل .

تعرض ساحل إفريقية لغرات النورمان المدمرة مما جعل أهلها يلزمون مدتهم أو ينتقل الى المناطق الداخلية من البلاد ، مع ضعف واضح لمراكز المسلمين البحرية خاصة امارة بني زيري بينما هناك تنامي ملحوظ للنشاط البحري للمدن الإيطالية (جنوة، البندقية. بيزا) بعد الحروب الصليبية.

### أوضاع النورمان في صقلية :

بعد استلاء النورمان على جزيرة صقلية ساد الجزيرة الهدوء لمدة عشر سنوات (484-494هـ / 1091-1101م) وأبدى ( رجار الأول<sup>1</sup>) تسامحا مع مسلمي صقلية، ويذكر احد الباحثين المختصين في هذا المعنى نحو قوله: " ويمكن القول إجمالا بأن المسلمين الذين عاملهم رجار بتسامح ظلوا مطيعين له، وكان العنصر الإسلامي في جيشه بارزا".

كان النورمان أقلية بالنسبة للعرب الموجودين في الجزيرة، ولهذا السبب استعمل رجار الأول العسكرية الإسلامية للاستفادة منها في فنون الحرب والقتال "حيث عمل المهندسون العسكريون المسلمون في خدمة النورمان

1- وهو من الشخصيات البارزة في أوروبا حاول اجراء بعض التحالفات التحالف في أوروبا، وبعد وفاة أخيه جيسكارد قسم ممتلكاته في صقلية وإيطاليا بين أفراد أسرته وأصحابه، توفي عام 495هـ/1101م وقد بلغ السبعين من عمره. أحمد، عزيز، (تاريخ صقلية الإسلامية)، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1980م، ص 63-64.

وصنعوا لهم أبراجا ومجانيق متحركة ليستعملوها في عمليات الحصار<sup>1</sup>، وعلى أية حال سرعان ما أنضجت سياسة النورمان في إيجاد مناخ من التسامح والتواجد للمسلمين في ظل الحكم النورمان، (فقد حرص رجال الأول أن يستميل المسلمين ليسانده ضد النبلاء من النورمان إذا هم حاولوا الخروج عن الطاعة، كما كان يحدث كثيرا للملوك في بعض ممالك أوروبا التي تفتشى فيها نظام الإقطاع آنذاك وكان أفراد البيت النورمان الحاكم انتهازيين إلى أبعد حد، فقد أحسنوا معاملة المسلمين طالما كان ذلك في مصلحتهم الشخصية)<sup>2</sup>، ومع ذلك فإن رجار الأول بادر إلى تحويل مسجد بلرم<sup>3</sup> إلى كنيسة وكذلك فعل ببعض المساجد بالمدينة " وهذا موجز للرحمة التي كانت أوروبا تقدمها دائما للعرب، فهي مشروطة بالقضاء على دينهم وفي عزلهم ليكونوا جماعة ذات كيان منفصل<sup>4</sup>.

### بداية الغزو النورماني

سبق الغزو النورماني للساحل الأفريقي حملات بحرية ضد عدد من مجن الساحل ومنها عام 506هـ/1113م<sup>5</sup>، والذي أدى احتلالها في آخر الأمر، فقد قام الأسطول النورماني بقيادة (جورج الإنطاكي)<sup>6</sup> بنشاط بحري ضد مراكب المسلمين في البحر المتوسط والذي شجعهم على ذلك كثرة المنازعات القائمة بين أمراء بني زيري وجيرانهم<sup>7</sup>، والذي يتفق مع تطلعات النورمان نحو شمال أفريقية منذ أن تم لهم الاستيلاء على صقلية عام 484هـ/1091م<sup>8</sup>.

- 1- أحمد، عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ص 63-64.
- 2- توفيق، عمر كمال، المجتمع العربي الإسلامي في بلرم، مجلة عالم الفكر، مجلد 14، العدد 4، الكويت، 1984م، ص 1102.
- 3 - Daniel, N, The Arabs and Mediaeval Europe, London, 1975, p. 153.
- 4 - Ibid, p. 148.
- 5- كانت هذه الحملة موجهة ضد مراكب المسلمين الغائرة على نابلي وسالرنه. أحمد، تاريخ صقلية، المرجع السابق، ص 65.
- 6 - جورج الأنطاكي رجلا نصرانيا من أصل يوناني يتبع الكنيسة الأرثوذكسية، تعلم اللغة العربية ويرع في الحساب في الشام، ثم هاجر مع أبيه إلى أفريقية والتحق بخدمة الأمير الزيري تميم بن المعز وصار مسؤول الشؤون المالية في عهد تميم، وبعد وفاة الأخير عام 501هـ/1107م خاف جورج من ابنه يحيى بن تميم فاتصل بصاحب صقلية سرا وفر من المهديّة وعمل سفيرا ومقدما للأسطول.
- 7 - سالم، السيد عبد العزيز، (المغرب الكبير)، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1966م، 651/2، ص 284.
- 8 - الدوري، تقي الدين عارف، (صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورماني) (212-484هـ/827-1091م)، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م، ص 269.

## الانتفاضات ضد المحتلين النورمان:

هي مرحلة الصدام بقوات الاحتلال النورماني، فحدثت انتفاضات تحريرية، حتى قبل وصول قوات الموحدين إلى إفريقية منها:

**انتفاضة صفاقس:** وجه القائد جورج الإنطاكي أسطولاً لغزو مدينة صفاقس عام 543هـ/1148م، ولكن الأسطول واجه مقاومة كبيرة من أهل المدينة وما جاورها من القبائل التي تهيأت للدفاع عن المدينة، الأمر الذي حدا بالنورمان إلى إتباع أسلوب فرض الحصار على المدينة، ورغم ذلك لم يتمكنوا من دخولها، فتظاهروا بالفرار، فخرج أهل صفاقس إليهم، ولكنهم انقلبوا عليهم وحالوا بينهم وبين دخول المدينة فتفرق الناس بين من رجع إلى المدينة ومن فر إلى مناطق أخرى، ودخل النورمان المدينة بعد قتال شديد سقط خلاله عدد كبير من القتلى، ثم نودي بعد ذلك بالأمان فعاد أهلها إليها وارجع إليهم أولادهم ونسائهم، ورفق بهم وذلك بعد وصول خطاب رجار الثاني الذي يأمر به بالأمان لأهل أفريقية.

**انتفاضة المهديّة:** أما الانتفاضة الثانية فقد كانت في مدينة المهديّة عندما اغتتم رجار الثاني فرصة اشتداد المجاعة بإفريقية عام 543هـ/1148م وما نجم من هجرة بعض سكانها إلى صقلية وغيرها، فأخذ في تلك الظروف القاسية يعمل لتنفيذ مشروعه التوسعي في إفريقية والتي من خلالها يسيطر على الملاحه في شرقي البحر المتوسط وغربه<sup>1</sup>.

**انتفاضة مدينة سوسة:** هب أهل سوسة للدفاع عن المهديّة عندما سمعوا بسقوطها على يد النورمان، بقيادة علي بن الحسن الذي توجه لملاقاة أبيه خارج المدينة، في حين استغل النورمان ذلك الموقف ودخلوا (سوسة) في 12 صفر عام 543هـ/11 يوليو 1148م<sup>2</sup>.

**انتفاضة جزيرة جربة:** كانت جزيرة جربة تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي<sup>3</sup> منذ منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، اذ كانت تجاهد ضد النورمان الذين انتزعوا صقلية من المسلمين، ومع هذا نجد

1 - دامت تبعة طرابلس للنورمان حوالي اثني عشر عاما (541-553هـ/1146-1158م) وكان يتولى شؤونها يحيى بن رافع بن مطروح التميمي.

التليسي، حكاية مدينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1974م، ص48.

2 - ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص369.

3 - نفس المرجع، ص297.

صاحب المهديّة<sup>1</sup> يقدم على مهاجمتها وإخضاعها لسلطانه عام 510هـ/1116م متذرعاً بما ترادف عليه من قطع أهلها في البحر وإخافتهم المسافرين فيه.

**انتفاضة طرابلس الغرب:** تتمتع طرابلس بموقع مميز بين مشرق الوطن العربي ومغربيه، حين كانت تمر بها الجيوش العربية ذهاباً وإياباً، كما تمر القوافل التي تحمل السلع والحجاج ورجال العلم والأدب، وأثر ذلك كله على المدينة من الناحية السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية، كما منحه موقعها المتميز تحول الأنظار إليها والاهتمام بها ومنهم أصحاب المهديّة من بني زيري الذين اهتموا بها لقربها من إمارتهم من جهة ولموقعها الحيوي الهام من جهة أخرى<sup>2</sup>، وبفضل هذه الممارسة ازدهرت الحياة التجارية والزراعية، وظهرت بعض المدن الكبيرة ومنها طرابلس التي أصبحت مطمعا للنورمان، الذين بعثوا العيون للتعرف عن أخبارها بالتفصيل<sup>3</sup>، فضلاً عن قائد أسطوله جورج الأنطاكي الذي كان على معرفة بالبلاد وجغرافيتها، ولهذا قرر رجار الثاني غزو طرابلس لاسيما بعد أن وصله خبر استقلال أبي يحيى رافع بن مطروح<sup>4</sup> عن الأمير الحسن بن علي في المهديّة<sup>5</sup>، واجر الأسطول النورماني في التاسع من ذي الحجة عام 537هـ/1143م، ولكن فشلت الحملة النورمانية في الدخول إلى طرابلس وذلك لحصانتها من جهة واستعداد بني مطروح<sup>6</sup> للدفاع عن أنفسهم فضلاً عن دور القبائل العربية من بني هلال وسليم من جهة أخرى، ولهذا دحر الغزاة ورجع الاسطول النورماني وهو يجر أذيال الخيبة والهزيمة.

**ضعف مقاومة أهالي جزيرة قرقنة<sup>7</sup> ضد الاحتلال:** هاجم النورمان جزيرة قرقنة بعد مهاجمتهم مدينة طرابلس، الأمر الذي اغضب الحسن بن علي من تلك التحركات النورمانية، ولكن رجار الثاني أقنعه بكتاب بعثه له موضحاً بان الاسطول النورماني يريد مهاجمة المدن المتمردة على حكم بني زيري، ولهذا اقتنع الحسن بكلام رجار

1 - عين عبد المؤمن عبد الحق بن علناس الكومي حافظاً لها. للمزيد ينظر: أبو محمد عبد الله بن احمد التيجاني، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس 1981، ص30.

2 - مؤلف مجهول، (الاستبصار)، ص110.

3 - المراكشي، عبد الواحد، ( المعجب في تلخيص اخبار المغرب)، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي، ط1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1978م، ص 491.

4 - ابن غلبون، أبو عبد الله محمد بن خليل، (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الإخبار)، تصحيح وتعليق: الطاهر الزاوي، ط2، طرابلس، 1967م، ص50.

5 - البرغوثي، عبد اللطيف محمد، ( تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني)، دار صادر، بيروت، 1967م، ص173، ص363.

6 - النائب الأنصاري، (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب)، مكتبة الفرحاني، ليبيا، ص119.

7 - ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج9، ص344.

دون أن يحرك ساكناً، ويبدو أن الحسن قد طلب من رجار الثاني القيام بحملات تأديبية ضد الخارجيين عليه والدليل على ذلك هو اقتناعه بما قال رجار، وبهذه الحالة يعد الحسن متواطئاً مع النورمان ضد أبناء وطنه من أجل الحفاظ على عرشه.



## الدرس الخامس: علاقة الأمويين في الأندلس مع الممالك

### النصرانية.

مملكة ليون- نبرة- قشتالة-برشلونة - اراغون.

### عناصر الدرس:

#### مقدمة

### الممالك النصرانية.

علاقات الأمويين في الأندلس بالممالك النصرانية.

**مقدمة:** مرّت الممالك النصرانية الإسبانية في الشمال خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بنفس الأطوار التي مرّت بها الأندلس الإسلامية في الجنوب، فمرّة في طور القوّة والنشاط، ومرّة في طور التفرّق والنزاع، وطور القوة يأتي من وحدة تلك الممالك المتنازعة فيما بينها، وطور الضعف يأتي من التنازع بينها، فكما رأينا الحال في الأندلس عندما تنازعتها ملوك الطوائف، وتقاتلوا فيما بينهم؛ حتى إن الأخ يقتل أباه وأخاه وأهله ليستأثر بالحكم دونهم، كان هذا هو الوضع - كذلك - في الممالك النصرانية.

وفيما يلي نحاول أن نُلقِي بعض الضوء على حال تلك الممالك وعلاقتها بدول الغرب الإسلامي في المغرب والأندلس.

### أولاً: الممالك النصرانية.

انقسمت المملكة النصرانية في الشمال في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى ثلاث ممالك؛ هي على النحو التالي:

- 1- مملكة نافار أو نبرة: وهي أكبر الممالك النصرانية، وكان يحكمها سانشو الكبير.
- 2- مملكة ليون<sup>1</sup>: فكان يحكمها برمودو الثاني (982-999م)، وخلفه في الحكم ابنه ألفونسو الخامس، وظلّ بها حتى تُؤفّي سنة 1027م، وذلك خلال إحدى غاراته على أراضي المسلمين في شمال البرتغال، وحاصر مدينة بازو، فأصابه سهم مسموم فقتله، فخلفه ابنه برمودو الثالث.
- 3- مملكة قشتالة: - وكان يحكمها سانشو غرسية حتى سنة 1021م، ثم خلفه ابنه غرسية بن سانشو.

وكان بين هذه الممالك تنازع وفرقة، وكان كلٌّ منها -تماماً كما كان يحدث بين ملوك الطوائف- يترقّب الفرصة المناسبة للانقضاض على مُلك الآخرين، وهو ما حدث بالفعل؛ إذ قصد غرسية بن سانشو ملك قشتالة مملكة ليون؛ ليتّم عقد زواجه من أخت ملكها برمودو الثالث، فقتل غيلة هناك في الكنيسة أثناء مراسم الحفل، وبذلك أصبحت مملكة قشتالة بلا ملك ولا أمير، وكان ذلك سنة 1028م، وكان لهذا الحدث أثره الكبير في تغيير الخريطة السياسية في الممالك النصرانية.

**سانشو الكبير وتوحيد ممالك إسبانيا:** كان سانشو الكبير ملك نافار (نبرة)، يرقب الأحداث عن كثب، وكانت تلك فرصته الذهبية؛ إذ كان سانشو زوجاً لأخت غرسية القليل، وبالتالي فهو الوريث الشرعي لميراث

زوجته، فجمع قوته واحتلّ قشتالة، وضمّها إلى مملكته، ووضع عليها ابنه فرناندو؛ وبذلك أضحت قشتالة ونافار مملكة واحدة.

أضحت إسبانيا مفترقة بين مملكتين، الأولى يحكمها سانشو وولده فرناندو؛ وهي مملكة قشتالة ونافار، والثانية يحكمها برمودو الثالث؛ وهي مملكة ليون.

كانت عين سانشو الكبير على ليون؛ إذ بها تتوحد إسبانيا على يديه ويُصبح هو الملك الأوحّد للنصارى الإِسبان، وكانت وسيلته في ذلك أن توجّه فرناندو ملك قشتالة وعقد زواجه على أخت برمودو الثالث ملك ليون، وبالطبع كان ذلك الزواج مصلحة إلى حين، فكما استطاع سانشو أن يتغلّب على قشتالة بزواجه من أخت غرسية القتيل، أراد فرناندو أن يُضخ ليون بالطريقة ذاتها، ولكن يبدو أن فرناندو استعجل ثمرته فهاجم مملكة ليون وافتتحها لنفسه، ففرّ برمودو الثالث ليرقب الفرصة لاسترداد عرشه، وقد حاول ذلك مرارًا ولكنه لقي مصرعه على يد صهره، وبذلك توحدت ممالك إسبانيا الثلاثة على يد سانشو الكبير، وكان ذلك سنة 1037م.

**وفاة سانشو الكبير:** وكان سانشو قبيل وفاته قد قسّم مملكته بين أولاده الأربعة؛ فجعل قشتالة وليون وجليقية من نصيب ابنه فرناندو، وخصّ ابنه الأكبر غرسية بنافار، وجعل لابنه راميرو ما تسمى بمملكة أراغون، واقتطع لابنه كونزالو منطقة صغيرة هي ولايتي سوبراي وريا جورسيا، هذا فضلاً عن إمارة برشلونة في شمال شرقي إسبانيا، والتي يحكمها رامون برنجيز الأول.

وكان هذا التقسيم إيذاناً بعودة الفرقة والتناحر بين الإخوة الأشقاء، وهو ما حدث بالفعل، بعد وفاة سانشو الكبير.

## الدرس السادس: علاقة ملوك الطوائف بالممالك النصرانية.

- تمهيد
- ظهور ممالك الطوائف.
- سياسة الممالك النصرانية تجاه ملوك الطوائف

**تمهيد:** بعد أن سقطت الخلافة الأموية بقرطبة سنة ( 422هـ / 1031م )، نتج تفكك الأندلس إلى عدة دويلات ، هكذا ظهر أمراء لنواحي الذين نسميهم بملوك الطوائف ، وهم لم يكونوا ملوكا ولا ملوك الطوائف و إنما هم كانوا عمالا على النواحي إستبدوا بالأمر كل في ناحية ،فقسمت البلاد إلى سبع مناطق رئيسية<sup>(1)</sup> ، وكل منطقة منها تفرعت إلى مناطق أخرى حتى وصل تعدادها إلى إثنين وعشرين دويلة ومنها :

#### - دولة بني عباد بإشبيلية :

ينتمي بنو عباد إلى العرب من بني لخم و قد أخذوا منطقة إشبيلية<sup>(2)</sup>، وقد سطع نجم بني عباد في إشبيلية منذ سقوط حكم العامرين ، و إعتلال الخلافة الأموية ، ثم سقوطها وذلك أواخر القرن 4 هـ و أوائل القرن 5 هـ ، ونتج عن ذلك توالي الفتن و كثرة الانقلابات و قد تألق نجم بني عباد في أعقاب الفتنة على يد جدهم أبي الوليد إسماعيل بن عباد ، أما المؤسس الفعلي لدولة بني عباد هو القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد<sup>(3)</sup>، كان يملك إشبيلية من سنة (414\_433 هـ / 1023\_1042 م) ، ثم تولى ابنه أبو عمر عباد بن محمد الملقب " بالمعتضد " و حكمها من سنة (433\_461 هـ / 1042\_1070 م) ، سار على خطى أبيه في تقوية دعائم الدولة قام بإلغاء مجلس الوجهاء وقضى على خصومه فصارت إشبيلية أقوى إمارات الطوائف التي بنيت على القوة و القسوة ، توفي المعتضد وخلفه ابنه أبو القاسم محمد "المعتمد" سنة (461هـ/1070م) ورث دولة عريضة تكاد تضم الجنوب الغربي كله من الأندلس أعجز ملوك في توسعه الى أن وصل الى بلنسية ، ما ميز سياسته أيضا موالاته لنصارى مثل أبيه كما إنتزع من أمير طليطلة الأقسام الجنوبية من ممتلكاتها وهذا ما حتم على أمير طليطلة ، التحالف مع الفونسو حتى وصل به الأمر للتضحية بطليطلة أو تقديمها لأعداء الاسلام تحقيقا لوهم زائف كان يحمل في طياته أهوال الفجائع للعرب أجمعين ، توجه المعتمد أيضا لغزو غرناطة التي كانت تحت زعامة عبد الله بن بلكين بن باديس تم زحف على بطليوس بقيت دولة بني عباد الى ان سقطت على يد المرابطين سنة (484 هـ/1091م)<sup>(4)</sup>.

(1) : أنظر الملحق رقم 1 ص 71.

(2) : راجب السرجاني: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ، مؤسسة إقرأ ، ط1 ، 2010م ، ج 1 ، ص 323 .

(3) : نفسه : ص 343\_344 .

(4) : نصيرة سلمى: المرجع السابق، ص 31-32.

## - دولة بنو الأفطس ببطليوس :

ينتمي بنو الأفطس إلى البربر ، إستوطنوا غرب الأندلس و أسسوا هناك إمارة بطليوس ، تجاور بطليوس إشبيلية من الشمال ، تفصلها عنها جبال الشارات الكبرى (سيرا مورينا ) وكانت بطليوس ، تشمل رقعة كبيرة تمتد من غرب مملكة طليطلة عند مثلث نهر وادي يانة غربا حتى المحيط الأطلنطي وتشمل أراضي البرتغال ، كلها تقريبا حتى مدينة باجة في الجنوب .

كان بنو مسلمة أو بنو الأفطس كما اشتهر اسمهم ، سادة بطليوس حكموها (1) ، أكثر من سبعين عاما وعميد هذه الأسرة هو عبد الله بن الأفطس الذي تمكن من السيطرة على مقاليد الأمور سنة 431هـ و دخلت هذه الدولة مع إشتداد عودها في عهد المظفر محمد بن عبد الله الأفطس في صراع عنيف مع بقية دول الطوائف، لاسيما بنو عباد مما أهلك قوة الطرفين المتنازعين فاستغل ملك قشتالة تلك الاوضاع و إستولى في سنة 449هـ على مدينتي لاميجو (مليقة) وبازو الواقعتين في الشمال دون مقاومة ، كما دفع بنو الأفطس جزية سنوية لملك قشتالة مقدارها خمسة آلاف دينار مقابل ترك مدينة شنترين (2) والتي تعرضت لأخطار الغزو مرات عديدة وأشهر من حكم هذه الدولة عمر بن محمد الملقب "المتوكل على الله" والذي عرف بسياسته الحكيمة و تشجيعه للحركة العلمية وتقريبه للعلماء وتمتعت بطليوس في عهده بالأمن و الرخاء و كان للمتوكل دور في الدعوة الى توحيد الأندلس من خلال تكليف العالم أبي الوليد الباجي (ت474هـ) ليقوم بجولة في دول الطوائف ويدعوا حكامها الى نبذ الخلاف و الفرقة و توحيد الجهود ضد أخطار ومطامع الممالك الاسبانية الشمالية ، انتهى حكم هذه الأسرة على يد المرابطين سنة (488هـ) بعد حصار شديد لمدينة بطليوس وتم اعدام المتوكل و ولديه جزاء له لاستنجاهه بملك قشتالة (3).

## - دولة بني ذى النون في طليطلة:

(1): محمد عبد الله عنان: دول الاسلام في الأندلس العصر الثاني دول ملوك الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي مكتبة الخانجي ، ط1، 1997م ، ص81 .

(2) : شنترين: كلمتان مركبة من شنت كلمة و رين كلمة كما تقدم، و رين بكسر الراء و ياء مشناة من تحت، و نون مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي الأندلس ثم غربي قرطبة و على نهر تاجه قريب من إنصباب في البحر المحيط، وهي حصينة بينها وبين قرطبة 15 يوم ، وبينها وبين باجة 4 أيام ، وهي الآن للإفرنج ملكت سنة 543هـ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الصادر ، بيروت ، ص 367.

(3) : خليل إبراهيم السامرائي و آخرون: المرجع السابق، ص 231-232 .

لم تكن أهمية دولة بني ذي النون في طليطلة في ضخامة رقعتها وان كانت أيضا من أكبر دول الطوائف رقعة ، ولكن في موقعها الحربي (الاستراتيجي) على مشارف الأندلس الشمالية و الوسطى ونحن نعرف أن طليطلة كانت منذ قيام الدولة الاسلامية بالأندلس تعرف بالثغر الأوسط لمتاخمة حدودها للممالك الاسبانية النصرانية و اعتبارها بذلك حاجز الدولة الاسلامية وجناحها الشمالي الأوسط ضد عدوان النصارى<sup>(1)</sup>،

يعود أصل بني ذي النون الى أسرة بربرية الأصل قديمة في الأندلس وترجع أخبارها الى أيام الامارة فقد تجمعت أعداد من بربر الهواريين عند بلدة تسمى شنتمرية قرب طليطلة وهناك قامن لهم عزوة<sup>(2)</sup>.

و كان اول من حكمها اسماعيل ابن ذي النون الملقب "بالظافر" ثم حكمها بعده ولده يحيى الملقب "بالمأمون" لمدة ثلاث وثلاثون عاما , كان في نزاع مع ابن هود صاحب سرقسطة و ابن عباد صاحب اشبيلية ، استولى على بننسية بالإضافة الى محاولته للاستيلاء على قرطبة ، توفي المأمون سنة (467 هـ/1074 م)، حكم من بعده حفيده القادر بن ذي النون وكان ضعيف الشخصية ، فاشتعلت من حوله الفتن وفي عهده سقطت طليطلة في يد ألفونسو السادس سنة (478 هـ/1085م) وبذلك كانت طليطلة أول قاعدة اسلامية تسقط في يد النصارى بعد ثلاثمائة وسبعين سنة من الحكم الاسلامي<sup>(3)</sup>.

#### - دولة بني جهور في قرطبة :

وهم الذين كان منحهم أبو الحزم بن جهور زعيم مجلس الشورى ، وقد أخذوا منطقة قرطبة وسط الأندلس خلع أهل قرطبة الخليفة هشام الثالث الملقب المعتد بالله في ذي الحجة سنة (422هـ) و ألغوا الخلافة الأموية بعد أن يئسوا من صلاح امرها و اجتمعوا على تنصيب الوزير جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر ابن يحيى بن عبد الغافر بن ابي عبدة يكنى ابا الحزم<sup>(4)</sup> رئيسا لحكومة قرطبة فاختر بدوره مجلسا عد بمثابة السلطة التشريعية العليا في المدينة وقد استطاع ابن جهور من خلال هذا المجلس أن يضع الجميع زعماء و أفرادا أمام مسؤولياتهم و واجباتهم .

(1): محمد عبد الله عنان :عصر الطوائف، ص 94- 95 .

(2) : حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الرشاد ، ص 418.

(3): نصيرة سالمي : المرجع السابق، ص 41-42.

(4): ابي القاسم ابن بشكوال :الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثهم و فقهاءهم و أدبائهم ،حق ضن عق: بشارعود مغروف ،دار الغرب الاسلامي، ط1 ، تونس، 2010 م ،مج 1، ص 188.

استمرت حكومة الجماعة هذه برئاسة ابن جهور تدير أمر قرطبة و ما يتبعها قرابة اثنتي عشرة سنة ، سادت فيها السكينة والامن وبدأت الحياة الاقتصادية في الانتعاش بعد أن أمن التجار على أموالهم نتيجة القسوة التي فرضت على المتلاعبين بأمن المنطقة<sup>(1)</sup>، ولما توفي ابن جهور سنة(435هـ /1045م) خلفه ابنه أبو الوليد ولقب بالرشيد و سار على سيرة أبيه ولكنه قبل وفاته سنة (443هـ) قسم مملكته بين ولديه اللذين تصارعا عن الحكم فإستأثر ابنه عبد الملك بالحكم ، وقام بسجن أخيه عبد الرحمان، عندها طمع المأمون يحيى ذي النون صاحب طليطلة في ضم قرطبة إليه فإستغاث عبد الملك بالمعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، هذا الأخير إستغل الفرصة و إستولى عليها لنفسه غدرا و خيانة ، وبذلك إنتهى حكم الجهاورة في سنة (462هـ) لتصبح ولاية تابعة لإشبيلية ، تحت حكم بني عباد و تكون أول دولة تسقط من بين دول الطوائف<sup>(2)</sup> .

#### - دولة بني زيري الصنهاجي في غرناطة :

ينتمي بنو زيري إلى البربر و قد أخذوا منطقة غرناطة ، و كانت إشبيلية و غرناطة في جنوب الأندلس<sup>(3)</sup> قامت دولة بني زيري في غرناطة بعد دولة بنو حمود وتعد أقوى دولة بربرية استقروا أولا في كورة غرناطة وفي عهد المرتضى أعلن الدعوة لبني امية فعارضه بني زيري و دارت بين الطرفين معركة إنتهت بهزيمة المرتضى سنة (409 هـ/1018م ) فقرر زاوي بن زيري زعيمهم الرحيل و العودة الى افريقية لأنه رأى أن أهل الأندلس لن يهدؤوا حتى يظفروا بالبربر فخرج منها سنة (410هـ/1019م)، غير أن ابن أخيه حبوس بن ماكسن أعاد حكم غرناطة لبني زيري ابتداء من سنة (411هـ/1020م) .

وسار بها سيرة حسنة الى أن توفي سنة ( 428 هـ /1036م ) فخلفه ابنه باديس بن حبوس بن ماكسن الذي لقب "بالمظفر" استولى على مالقة من الأدارسة الحسينيين العلويين (بنو حمود) في سنة (449 هـ/1057م) وليت طول مدة حكمه لغرناطة في قتال مستمر مع بني عباد أمراء اشبيلية وغدت غرناطة في عهده من أهم قوعد الاندلس الجنوبية خلفه في حكم غرناطة حفيده عبد الله بن بلكين سنة (467هـ /1074م) الذي اتخذ من اليهود وزراء له منهم الوزير

(1) : خليل ابراهيم السامرائي : المرجع السابق، ص 225.

(2): نصيرة سلمي : المرجع السابق ، ص 29\_30.

(3): راغب السرجاني : المرجع السابق، ص 323.



أبو ابراهيم يوسف بن اسماعيل و والى النصارى ، وأشتهر حكمه لغرناطة الى أن عبر المرابطون البحر بقيادة يوسف بن تاشفين الى الأندلس سنة (483هـ/1090م)<sup>(1)</sup>.

#### - بنو هود في سرقسطة :

اجتمعت كلمة أهل سرقسطة على سليمان بن هود كأمر عليهم و تلقب "بالمستعين بالله" وذلك في محرم سنة (431هـ) ومنذ هذا التاريخ بسط بنو هود سلطانهم على الثغر الاعلى لبلاد الأندلس و كان سليمان بن هود يملك سرقسطة ماعدا طرطوشة<sup>(2)</sup> التي كانت بيد الفتيان العامريين توفي سنة (438هـ/1046م) .

قبل وفاة سليمان بن هود قسم أعمال دولته على أبنائه الخمسة فولى ابنه أحمد بن سليمان سرقسطة وولى يوسف لاردة وولى محمدا قلعة أيوب وولى لباً مدينة وشقة وولى المنذر تطيلة ويبدو أن هذا العمل كان عملاً سلبياً إذ زرع العداوة و الشقاق و التناحر بين الاخوة ، لكن أحمد بن سليمان كان أسعدهم حظاً و أقواهم ذكاء و حيلة إذ ظل يتحايل على اخوته على ملكهم جميعاً فسجنهم<sup>(3)</sup> .

لقب أحمد بن سليمان بـ "المقتدر" ارتكب المقتدر خطأ هو تقسيم مملكته بين ولديه قبل وفاته عام (474/1081م) فكان لولده الأصغر المنذر لاردة و منشون و طرطوشة و دانية و حضي ولده الأكبر "المؤمن" بسرقسطة و بوفاة المؤمن سنة (478هـ/1085م) خلفه ولده أحمد "المستعين" بينما بقي عمه في الجزء الآخر وفي عهده وقعت وشقة سنة (489هـ/1096م) بيد بيدرو الاول بن سانشوا فحولها الى عاصمة أراغون و حول مسجدتها الى كنيسة ولما قتل المستعين في سنة (503هـ/1110م) خلفه ابنه عبد الملك الملقب "بعماد الدولة" سقطت فيعهده دولة بني هود في يد المرابطين سنة 503 هـ / 1110 م بعدما دام حكم بني هود سبعين سنة<sup>(4)</sup>.

#### - دولة العامريين في بلنسية :

(1): نصيرة سالمي : المرجع السابق، ص 38-39.  
(2) : طرطوشة :مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية و قرطبة قريبة من البحر، ياقوت الحموي: معجم البلدان: تح: فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ،لبنان ،ج4،ص34.  
(3): راغب السرجاني : المرجع السابق، ص 384-385.  
(4): نصيرة سالمي : المرجع السابق، ص 34-35 .

ينتمي بنو عامر إلى عرب المعافريون من العرب اليمانية ، استوطنوا شرق الأندلس وكانت عاصمتهم بلنسية<sup>(1)</sup>، وكانت بلنسية من اعظم قواعد الأندلس الشرقية تجاورها شمالا سرقسطة وكانت مدينة بلنسية عاصمة لهذه الدولة وشاطبة<sup>(2)</sup> من مدنها الرئيسية ، سيطر الصقالبة فتوالى على حكمها كل من المظفر ومبارك فهما أول من استقل بها أيام الفتنة و اعتمدا في سياستهما على تغليب العنصر الصقلي على سائر العناصر الأخرى بقي الصقالبة في حكم فلنسية الى غاية سنة (457هـ /1065م) ليستولي عليها بعد ذلك الطليطليون وانتهى الأمر بالمظفر في السجن و ولى المأمون الفقيه ابو بكر ابن عبد العزيز نائبا على بلنسية سنة (467هـ /1075م) هذا الأخير استقل بها الى غاية سنة (478هـ /1085م) غير ان الحال لم يدم له اذ تمكن بني عباد من استعادتها من الطليطليون و ضمها الى اشيلية في عهد القادر بن ذي النون ومنذ ذلك أصبحت بلنسية في أغلب الأحيان تابعة لإشبيلية وأحيانا لطليطلة

استقل بها القاضي أحمد بن الجحاف من سنة (485-487هـ /1091-1093م) ومن يده أخذها السيد القمبيطور النصراني سنة (487هـ /1093م) ومع مجيء المرابطين استردوها و ذلك سنة (495هـ /1120م) فعادت بذلك الى حوزة المسلمين<sup>(3)</sup>.

لم تقتصر المصيبة التي مرت بها الأندلس على تقسيم الأراضي إلى دويلات مستضعفة ، وإنما كانت تجاور إمارة نصرانية ، إنقضت هذه الإمارة على أراضي المسلمين ، وتحولت من إمارة تكافح للبقاء إلى ممالك تعمل على توسيع رقعتها، ورغم أن الدويلات النصرانية كانت متعددة (ليون ، قشتالة ، أرغون ، نافارا ، قطلونية )، إلا أنها كانت أقرب إلى الوحدة ، ففي النصف الأول من قرن 5 هـ استطاع سانشوا الكبير (شانجه) أن يضم له جميع الممالك النصرانية ضما حقيقيا أو بالتبعية إليه ، ولما توفي سنة (428هـ) تقلد زعامة النصارى ابنه فرديناند الأول ، توفي في (458هـ)، ورغم إنقسام النصارى بعده بين أولاده الثلاث شانجه ملك قشتالة ، و ألفونسوا ملك ليون ، و غرسية ملك جليقية، لكن ابنه الفونسوا السادس استطاع أن يضم إليه مملكة أبيه (قشتالة

(1) :راغب السرجاني : المرجع السابق، ص 324.

(2) :شاطبة بالطاء المهملة و الباء الموحدة : مدينة في شرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة، يجوز أن يقال إن إشتقاقها من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة ، ياقوت الحموي :معجم البلدان ،تح : فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية ،ط2، لبنان، 2011م ،مج3، ص351.

(3):نصيرة سلمي : المرجع السابق ، ص 44 .

، ليون، البرتغال، جليقية )، كما استطاع أن يقتسم مع شانجه ملك أرغونة ( مملكة نافرا )، فتقوت هذه الممالك و عظم شأنها (1).

### سياسة الممالك النصرانية تجاه ملوك الطوائف

تمكن المسلمون من فتح معظم شبه الجزيرة الإيبيرية، ولم يبق إلا القسم الشمالي الغربي منها خارج سلطتهم، لا لعجزهم عن مواصلة الفتح، بل استهانة بهذا الجزء واستصغارا لقدره، فإذا به يتحول إلى عقبة تقف أمام الوجود الإسلامي هناك وبؤرة لبروز مقاومة اسبانية أخذت على عاتقها مهمة استرداد اسبانيا كلها من يد المسلمين، وبدل من وجود دولة واحد تحكم شبه الجزيرة الإيبيرية، ظهرت إمارة نصرانية في الشمال هي إمارة جليقية يتزعمها أمير يدعى "بلاي أو بلايو" الذي عمل على توسيع حدود دولته على حساب أراضي المسلمين، تبعثها تشكل ممالك وإمارات نصرانية أخرى، بلغ مجموعها أربعاً في عصر ملوك الطوائف.

ولد هذا التنافس وأفرز احتكاكا بين الطرفين جرّ إلى التصادم تارة والهدنة أو السلم تارة أخرى، لكن هذا الصراع لم يكن بارزا بالقدر الكافي في عصر الولاة أو الدولة الأموية لأن الغلبة كانت للمسلمين في أغلب الأحيان..

غير أن الدولة الأموية في الأندلس لم تتمكن من الاحتفاظ بتفوقها السياسي والعسكري وظهر الضعف فيها جليا في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، خصوصا بعد وفاة المنصور بن أبي عامر وانتقال مقاليد الحكم لأحد أبناء هذه الأسرة الضعاف، وهو عبد الرحمان شنجول سنة 399هـ/1008م، في ظل استمرار الحجر على الخليفة هشام المؤيد الغلام الصغير الذي كان منزوع السلطة والإرادة والقدرة ولا حولة له ولا قوة.

وأتاح هذا الوضع لحكام الأقاليم والولايات الأندلسية الفرصة للانفصال بما تحت أيديهم من مناطق، بعدما دخلت الأندلس في حالة من الفوضى والقتال الداخلي على السلطة في حرب أهلية مدمرة، اصطلحت عليه المصادر التاريخية الأندلسية الفتنة البربرية، والتي أدت في نهاية المطاف إلى انقسام الأندلس إلى عدة إمارات وممالك مستقلة، عرفت باسم دويلات ملوك الطوائف.

إن اختلال ميزان القوة لصالح الممالك النصرانية الاسبانية في عصر ملوك الطوائف، قد طبع العلاقات السياسية بين الجانبين بعدة مميزات منها:

(1): نصيرة سلمي : المرجع السابق، ص 63\_64.

1- بدل أن تكون المبادرة للمسلمين في توجيه علاقاتهم بنصارى الشمال، كما في الدولة الأموية أصبحوا للأسف أداة طيعة في يد ملوك اسبانيا، يجبون لهم الضرائب، ويدينون لهم بالولاء والطاعة والخضوع.

2- قامت السياسة الخارجية لملوك الطوائف على الاستعانة بالنصارى الاسبان والاستقواء بهم على بعضهم البعض، وعادة ما كان دافعها الرغبة في التوسع الخارجي، لأن دويلات الطوائف لم تكن قادرة على تنفيذ مشاريع توسعية منفردة، فرأى ملوك اسبانيا النصرانية في هذه الخطوة فرصة ثمينة لعرض خدماتهم على المسلمين وتأجير جيوشهم وقوادهم لملوك الطوائف، في سياسة تقوم على نحمي من يدفع أكثر، فكانت علاقاتهم بالمسلمين في البداية تعتمد على الارتزاق، ونلاحظ هذه الصورة من العلاقات عند أمراء برشلونة بوجه خاص.

3- أما سياسة ملوك النصارى فكانت سياسة واضحة الأهداف وإن تعددت وسائل تحقيقها، تحركها فكرة استرجاع الأندلس من المسلمين، ولما أدرك ملوك اسبانيا صعوبة تحقيق هذا الهدف عن طريق الاحتلال العام للأندلس، ومحاربة ملوك الطوائف دفعة واحدة، فقد اعتمدوا على سياسة التدرج في اضعاف المسلمين، وكانت وسيلتهم الأساسية هي تحصيل أكبر قدر من الأموال في شكل جزي، حتى إذا فرغت الأموال وانهار الاقتصاد كان القضاء على الوجود الإسلامي أمرا سهلا وبأقل التكاليف، ولم تكن أبعاد هذه السياسة تخفى على ملوك الطوائف، ولكن شهوة الحكم فلم يستفيقوا إلا ونهايتهم باتت وشيكة على يد النصارى الاسبان.

4- فقد المسلمون في عصر ملوك الطوائف حماسهم، التي انعكست بشكل سلبي على قوتهم العسكرية، مما أضعف موقفهم أمام النصارى في المفاوضات، التي غالبا ما كانت تنتهي في غير صالح المسلمين، وعلى النقيض تماما كان ملوك اسبانيا النصرانية في معظمهم أكثر وفاء لدينهم من ملوك الطوائف، حيث كان الدين محركا أساسيا لحركة الاسترداد التي ميّزت سياسة ملوك النصارى نحو المسلمين طيلة القرن 5هـ/11م.

## الدرس السابع: علاقة المرابطين بالممالك النصرانية.

ظهور المرابطين و نهاية الطوائف  
جهاد المرابطين في الأندلس ضد النصارى  
علاقة المرابطين بالممالك النصرانية.

## أ. ظهور المرابطين و نهاية الطوائف:

في الوقت الذي نجح فيه يوسف بن تاشفين<sup>(1)</sup> في تأسيس دولة كبيرة في المغرب الأقصى<sup>(2)</sup>، كانت الأندلس قد أصيبت بنكبات عنيفة و عديدة نتيجة الصراعات الحاصلة بين ملوك الطوائف<sup>(3)</sup>، حيث كانوا يتربصون ببعضهم البعض و يحاول كل واحد منهم التوسع على حساب جاره مستخدما القوة و مستعينا بملوك النصارى في شن الحروب ضد إخوانه المسلمين ، وقد إستغل النصارى هذه الأوضاع المتردية لصالحهم فكانوا يقبضون الأموال الطائلة و يتلقون الهدايا الفاخرة و يأخذون الحصون و القلاع الإسلامية بالتنازل عنها لهم كل ذلك ثمنا لمعونتهم التي يقدمونها لهذا الملك أو ذلك من الملوك الفتنة لعله يتغلب على غيره من الملوك أو يتقي شره بإضعافه ، أو يتسنى له السيطرة على بعض المواقع التابعة له وعلى سبيل المثال ما حدث لمملكة بطليوس ، فبعد الضعف الذي لحق بها بسبب الهزائم المتلاحقة التي ألحقها به بن عباد، ثم حذا فرناندوا الأول حذوا بن عباد في اضعاف بطليوس فشن هجوما كاسحا و إستولى على بازو و لاميجو و بعدها بأعوام شن هجوم على شنترين فتفاوض معه أميرها المظفر بن الأفطس مقابل التراجع عن شنترين تقديم جزية سنوية<sup>(4)</sup>، أما طليطلة و التي كانت محل أطماع ألفونسو السادس بسبب موقعها الجغرافي (الاستراتيجي)، لم تسلم من يد ألفونسو السادس الذي هاجم أراضيها و عبث فيها ، و أخذ يشدد الحصار على ملكها و يفرض أموالا طائلة عليه بقصد إنهاكها ، وهذا ما أغضب أهلها عليه حتى طرده من الحكم سنة (473هـ)، و استدعوا بدلا منه ملك بطليوس و الذي لم يستطع المحافظة عليها هو أيضا ، وبعد أن إستنجد ملك طليطلة المطرود بألفونسو انسحب منها صاحب بطليوس، فكانت فرصة ألفونسو سانحة و فرض نوع من الوصاية على طليطلة ، فوقع القادر بن دي النون إتفاقا سريا مع ألفونسو و تعهد بتسهيل مهمة إستيلاء الغزاة على البلاد وتسليمهم العاصمة له<sup>(5)</sup>، و بسقوط طليطلة علي يد ألفونسو السادس ملك قشتالة ، فقد جاء سقوطها

(1) :يوسف بن تاشفين: هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن وتلمى بن تلميت الحميري الصنهاجي الممتوني، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، طبعة دار المنصور ، الرباط، 1972م، ص 87.

(2) :عبد المنعم حمدي: التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 2008، ص 50.

(3):نصيرة سالمي : المرجع السابق، ص 65.

(4) :صالح بليل : الآثار الحضارية للصراعات العسكرية في الأندلس إبان عصر ملوك الطوائف (ق5/11م)، أطروحة مكملة مقدمة لنيل شهادة

الدكتوراه ، اللغة و الحضارة الإسلامية ، إيش : جمال بن دعاس، جامعة باتنة ، الجزائر ، 2019م، ص 48.

(5) :نصيرة سالمي: المرجع السابق، ص 65\_66.

نذيرا بما يترصد الإسلام في الأندلس، وقد كان من الضروري في تلك الظروف العصبية أن تتحد القرى الإسلامية في الأندلس لمواجهة هذا الخطر المسيحي، ولكن ما حدث كان نقيض ذلك فقد بادر ملوك الطوائف إلى إسترضاء الفونسو السادس، ورضوا على أنفسهم دفع الجزية له (1)، وبعد أن ظهرت أطماع النصارى بوضوح إستنجد أمراء و فقهاء الأندلس بالمرابطين و كان المرابطين أيضا يعدون العدة من قبل للجهاد ضد الأعداء في الأندلس (2)، عبر المرابطون الى الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين، لمؤازرة إخوانهم المسلمين ضد النصارى (3)، وكانت هذه الخطوة الأولى التي إتخذها يوسف بن تاشفين أمير المسلمين في هذا المجال حيث عبر إلى الأندلس سنة (479هـ/1086م)، من أجل نصره أهل الأندلس و الإعداد لإرجاع مدينة طليطلة إلى دولة الإسلام، وقد رحب ملوك الطوائف بهذه الخطوة و ساهموا بقواتهم من أجل الجهاد في سبيل الله وإنقاذ الأندلس من خطر الإسبان و بعد أن وحدوا الجهود سارت القوات المشتركة صوب سهل الزلاقة شمالي بطليوس، في هذا الوقت كان ألفونسو السادس محاصرا مدينة سرقسطة قاعدة دولة بني هود، فلما وصلت إلى مسامعه هذه الإستعدادات الإسلامية، ترك حصار سرقسطة و سار بقوة صوب بطليوس بعد أن أرسل إلى دول أوروبا لتساعده فسارعت في إرسال الإمدادات إليه وبعد الإستعدادات العسكرية من الطرفين (4)، وقعت معركة الزلاقة (5) في يوم الجمعة 12 رجب (479هـ/أكتوبر1086م)، هجم ألفونسو السادس بجيشه الضخم على الجيش الأندلسي (6)، و أحدث ثغرة في الجيش فأضعفهم ولم تفدهم الفرقة المغربية التي يقودها داود بن عائشة، فأسرع إليهم سير بن أبي بكر يقود جنوده من زناتة و مغراوة، و تشجع النصارى و تابعت قواتهم القوات الأندلسية المنهزمة، تاركين مواقعهم الأصلية و حينئذ أسرع يوسف بن تاشفين يقود جيشا لمتونة و ضرب معسكر النصارى وعليه اضطربت قوات النصارى و إرتدت تريد إنقاذ معسكرهم، لما أحس الأندلسيون بهزيمة جيش ألفونسو السادس أسرعوا يهاجمونهم، فأصبح الجيش الأندلسي

(1):عبد المنعم حمدي : المرجع السابق، ص51.

(2):محمود السيد: تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، 2004م، ص23.

(3):أبا الخليل محمد إبراهيم : جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين و الموحدين، دار الأصدقاء المجتمع للنشر و التوزيع، ط1، السعودية، 1998م، ص31\_32.

(4):خليل السامرائي: المرجع السابق، ص253.

(5): أنظر الملحق رقم 2، ص72.

(6):راغب السرجاني: المرجع السابق، ص500.

خلف النصارى الفارين و المرابطين من أمامهم و ظل القتال مستمر بين المسلمين و النصارى<sup>(1)</sup>، إلى أن إنهزمت قوى النصارى وطعن ألفونسو السادس و هرب مع بعض من جنوده إلى طليطلة بعد معركة الزلاقة ، رجع يوسف بن تاشفين إلى المغرب بعد أن ترك حاميات مرابطية في الأندلس<sup>(2)</sup>. لكن ألفونسو السادس لم يستوعب الدرس الذي لقنه له ابن تاشفين في الزلاقة وكثر عيث النصارى في بلاد المسلمين وتخريبهم لها و لم يستطع حكام الطوائف فعل شيء بل وصلت الأحوال إلى أن سقطت بلنسية في يد النصارى، كذلك لم تنتهي الصراعات بين ملوك الطوائف ولم ينفذوا وصية يوسف بن تاشفين لهم بالإتحاد فإستغاثوا بأمر المسلمين للمرة الثانية فمن أجل ذلك كان العبور الثاني و يتكرر ما حدث في العبور الأول بهزيمة النصارى على يد المرابطين إلا أنه في أثناء حصار حصن لبيط في سنة(481هـ/1088م)، رأى من خداع أمراء الطوائف و شهد تمردهم و نفاقهم مما أغضبه عليهم تم تكررت هذه الأحوال للمرة الثالثة فعبر بن تاشفين إلى الأندلس في عام (483هـ / 1090م)، وبعد أن تبث لإبن تاشفين بقاء حال أمراء الطوائف على ما هم عليه من فرقة و تحاذل و إعتزم يوسف بن تاشفين أمره في إفتتاح ممالك الطوائف و أخذ يستولي عليها تباعا<sup>(3)</sup>، فبدأ يوسف بن تاشفين بصاحب غرناطة الأمير عبد الله بن بلكين ثم عزل المعتمد بن عباد رغم إستنجاده بألفونسو وتمكن منها في سنة (484هـ/1090م)، و قبض علي المعتمد بن عباد و نفي إلى أغمات هو وعائلته، ونوه أن ألفونسو لم يبقى متفرجا بل حاول تدعيم تصدي ملوك الطوائف لكنه لم ينجح و لم يستثني المرابطون في توسعهم سوى سرقسطة لموقعها المنعزل و وقوعها كحاجز بين المسلمين و النصارى وبقي الحال حتى سنة (503هـ)، إذ دخلها المرابطين بسبب إعتمادها الكلي على النصارى وبسقوط سرقسطة إستطاع المرابطين القضاء على آخر ملوك الطوائف بعدما إستمر عصر ملوك الطوائف ما يقارب ثمانين عاما<sup>(4)</sup> . وانتهت هذه الحرب بين المرابطين و ملوك الطوائف ،بضم كل ممالك الأندلس إلى دولة المرابطين و إستطاع أن يظمها إلى بلاد المسلمين<sup>(5)</sup>، وقد أصبح يوسف بن تاشفين أميرا على دولة تملك من شمال الأندلس و بالقرب من فرنسا حتى وسط إفريقيا،

(1):محمود السيد:المرجع السابق، ص34.

(2):خليل السامرائي: المرجع السابق، ص253.

(3) :راغب السرجاني : المرجع السابق ،ص 512\_513.

(4) :نصيرة سالمي: المرجع السابق ، ص 71.

(5) : أنظر الملحق رقم 3، ص 73.



## ب. جهاد المرابطين في الأندلس ضد النصارى :

بعد موت يوسف بن تاشفين بعام واحد (501هـ) و بعد ما يقارب من 12 سنة من الزلافة ، دارت واحدة من أضخم المواقع بين المسلمين و النصارى وهي موقعة إقليش<sup>(1)</sup>، في شوال (501هـ/ مايو 1108م) وقد استولوا فيها على شنتمرية القريبة من طليطلة ثم حاصروا حصن إقليش شرقي طليطلة وأرسل إليهم ألفونسو السادس جيشا جعل فيه خيرة قواده حتى سميت المعركة بمعركة الأنكاد السبعة و إنتصر المرابطون في تلك المعركة و قتل شانجو ابن الفونسو السادس<sup>(2)</sup>، و تقدر خسائر القشتاليين في هذه المعركة بنيف و ثلاثة و عشرين ألفا و غادر الأمير تميم بعد تلك المعركة و ترك قوات مرسية و بلنسية تحت إمرة قائدها لحصار قلعة إقليش فلبثا على حصارها فترة و لما رأيا مناعتها تظاهرا بالإنسحاب و إرتدا في قوتهم و رتبا الكمائن فخرج النصارى من القلعة و إنقض عليهم المسلمين ، و أمعنوا فيهم قتلا و أسرا و بذلك تم إستيلائهم على إقليش ، و تعتبر حملة إقليش من الحملات الفاتحة لبرنامج منظم من الغزوات المرابطية لأراضي النصارى<sup>(3)</sup>.

ففي سنة (503هـ) نجد جيشا مرابطا كبيرا يغزوا أراضي طليطلة للمرة الثانية و يستولي مرة أخرى على طلبيرة، و في سنة (509هـ/ 1116م) تمكن المرابطين من إستعادة الجزائر الشرقية وهي ميورقة و منورقة و يابسة وهي المعروفة بالبلليار، من رجال الجمهوريات الإيطالية وهي بيشة و جنوة الذين أنظم إليهم رجال من كونتينة برشلونة وكان الذي تولى إسترجاع هذه الجزر هو صاحب البحر، أي أمير البحر المرابطي أبو عبد الله محمد بن ميمون الذي يعتبر من أبطال الجهاد الإسلاميين، وكان إسترجاع هذه الجزر ذا أثر بعيد في مستقبل الأندلس كلها لأنها لو بقيت في أيدي النصارى لأصبحت خطرا يهدد شرق الأندلس كله<sup>(4)</sup>.

كما دارت معارك كانت الهزيمة من نصيب المسلمين كقتندة (514هـ/ 1120م) وتقع قنتندة في حيز مدينة داروكة من أعمال سرقسطة ، و إستشهد فيها من المسلمين ألوف لأن الأندلسيين الذين خرجوا للجهاد من المرابطين لم ينتظموا في الصفوف و تسارعوا في الهجوم على العدو فإختل مصاف الجيش فكانت الهزيمة ، وقد مات فيها نفر من كبار علماء المسلمين<sup>(5)</sup>، ومن المعارك

(1) : راغب السرجاني: المرجع السابق ، ص518.

(2): حسين مؤنس: معالم...، ص 434.

(3): محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين و بداية الدولة الموحدية، مكتبة الخانجي ، ط2، القاهرة ، 1990م، ص66.

(4): حسين مؤنس : معالم...، ص 434.

(5) : نفسه، ص434

الأخرى المهمة التي إنتصر فيها النصارى على القوات المرابطية هي معركة القلعة عام (523هـ / 1129م) ،وفتحت أبواب أمام شدة الهجمات الإسبانية على مدينة بلنسية و ماجاورها من الحصون<sup>(1)</sup>.

و عليه فقد كانت دولة المربرطين تتجه بقوة نحو هاوية سحيقة و كارثة محققة ، وكان لابد من أن تتحقق سنة الله تعالى بتغيير هؤلاء و إستبدالهم بغيرهم<sup>(2)</sup>.

و بينما كان المرابطون يستعدون أراضي الأندلس، قامت عليهم ثورة المصامدة على يد محمد بن تومرت منشئ دولة الموحدين وحال بينهم وبين إكمال رسالتهم ، ونتج عن ذلك سقوط سرقسطة في يد ألفونسو المحارب ملك أرغون سنة (512هـ) تم المرية سنة (542هـ)، تم سقطت طرطوشة سنة (567هـ)، فتوالى سقوط العواصم الأندلسية في يد النصارى بسبب إنشغال المرابطين بالدفاع على أنفسهم، وعليه فقد إنتهى عهد المرابطين على يد الموحدين و هم الذين ورثوا المرابطين في الأندلس و سقطت الدولة المرابطية في سنة (540هـ).

#### علاقة المرابطين بالممالك النصرانية.

ضجر الناس وملوا وسأموا من سياسة وتصرفات ملوك الطوائف الخانعة المستسلمة لأمرء الممالك النصرانية وربطتهم علاقات في مجالات شتى على حساب أوطانهم ودينهم، نتيجة لهذه السياسة نشبت الحروب بين الإخوة، فاستغل النصارى هذه الأوضاع وشنوا غاراتهم على العديد من المناطق في الأندلس، وازداد الوضع خطورة عندما قام بعض الأمراء النصارى بمحاولات الاستيلاء على عدة مدن أندلسية، وبدأ خطر النصارى يتعاظم يوما بعد يوم ونتيجة لهذه الأحداث المتسارعة في الأندلس ونظرا لتفاقم الأوضاع وتأزمها قام مجموعة من العلماء بالاستغاثة والاستنجاد وطلب العون من زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين الذي ذاع صيته وتوالت انتصاراته في بلاد المغرب، ولقد عبر الأندلس ثلاث مرات لنجدة ملوك الطوائف، وللتخلص منهم، ولنجدة الأندلس من الخطر الاسباني الصليبيين وفي كل مرة يحقق النصر، لأن المرابطين كان هدفهم الجهاد في سبيل الله، وتخليص الأندلس من هيمنة النصارى.

(1): خليل السامرائي : المرجع السابق، ص262.

(2): راغب السرجاني: المرجع السابق، ص 533.

فكانت طبيعة العلاقة في أغلبها مع الممالك النصرانية علاقة حرب التي كانت سجالا بينهما

## الدرس الثامن: علاقة الموحدين بالممالك النصرانية.

عناصر الدرس:

تمهيد

إستيلاء الموحدون على الأندلس

علاقة الموحدين بالممالك النصرانية.

استعدادات الموحدين لغزو النصارى

طبيعة العلاقات السياسية

العلاقات الاجتماعية

**تمهيد:** كانت الأندلس منطقة مهمة ولها تأثير كبير على بلاد المغرب، ولا يتصور استقرار المغرب دون الأندلس، لموقعها الإستراتيجي باعتبارها همزة الوصل الذي يربط العالم الإسلامي والغرب الصليبي، ناهيك عن إمكاناتها المادية والمعنوية والبشرية، فكل دولة تسيطر على المغرب إلا وتضع في حساباتها، لحاق الأندلس، كخطوة مهمة في استقرار المغرب الإسلامي -المغرب والأندلس- فارتبطت المغرب بالأندلس في كل شئ سياسي وثقافيا وحضاريا، وحتى في الأبحاث والدراسات الأكاديمية الجادة، ولكن تفوق الأندلس حضاريا كان بارزا.

والأندلس ليست في منأى عما يحدث في المغرب، بل كانت تتأثر وتؤثر، وقد عرفت الأندلس هزات ارتدادية، وثورات سياسية أغلبها كانت رفضا لواقع سياسي أو بفعل تأثير اقتصادي، أو حرمان من حقوق معلومة ضيعت.

### إستيلاء الموحدون على الأندلس

كان لزاما على أي دولة تبسط نفوذها على الأندلس أن تراعي هذه المسألة، وهو ما حاولت دولة الموحدين ألا تشذ على القاعدة، حيث كانت الأندلس من أولى اهتمامات عبد المؤمن بن علي رغم انشغاله الشديد بتصفيت وتتبع المرابطين في المغرب، فهي في نظره ثغرا هاما وإرثا مرابطيا لا يمكن التفريط فيه، ومع ذلك لم يأذن بإرسال جيش لها، غير أن الأحداث تطورت سريعا وعجلت بالتدخل في هذا الثغر وسبب ذلك عاملان أساسيان هما: مصرع تاشفين في وهران، وتكالب النصارى على الأندلس.

فكان أكبر حافز للثوار للعبور إلى العدو وطلبوا من عبد المؤمن المعونة والسند، وهذا ما يؤكد ابن الخطيب بقوله: "ومن أجل الحفاظ على الأندلس واستقرارها وولاءها، انتهجت سياسة حكيمة قائمة على حسن تسيير خيارات الأندلس وتوزيعها بالتساوي بين أفراد المجتمع، مخالفة بذلك سياسة سابقتها-دولة المرابطين- وليس ذلك فحسب بل متخذة أساليب تتماشى والوضع الظرفي سواء كان حربا أم سلما، كسياسة الاغداق على المشوشين والمتمردين

بما يشبع رغباتهم ويسكن حركاتهم ويخمد ثوراتهم ويعزز ولائهم، فاتخذت من العقار ووسيلة لخدمة أغراضها السياسية وأداة لتحقيق أهدافها الاستراتيجية، وغيره.  
علاقة الموحدين بالممالك النصرانية.

1- اتفاق النصارى على تقسيم الأندلس: اجتمع ملك قشتالة ألفونسو السابع بملك أرغونة برنجير الرابع في مدينة تطلية في شهر جمادى الثانية من سنة 545هـ/1151م، فعقد الملكان بينهما اتفاقية عرفت باتفاقية تطيلة، ابفقا على تقسيم الأندلس بينهما، وتحديد مناطق غزواتهما القادمة.

فحصل ملك أرغونة بموجب هذه المعاهدة على حق غزو شرقي الأندلس، لكنه تعهد أن يحكم مدينتي بلنسية ومرسية بصفته تابعا لملك قشتالة، ثم تعهد كل من الملكين باحترام حقوق الآخر والتعاون معا على قتال المسلمين.

سار ملك قشتالة ألفونسو السابع بقواته مع ابن مردنيش سنة 552هـ/1157م لنجدة نصارى ألميرية، لكنه عجز وعاد إلى بلاده بائسا حسيرا ومات في الطريق خلال عودته سنة شوال 552هـ/أغسطس 1157م، وأوصى قبل موته بتقسيم مملكته بين ولديه بسانشو وفرناندو على أن يحكم الولد الأكبر سانشو مملكة قشتالة فعرف بسانشو الثالث، وكان من نصيب الابن الأصغر مملكة ليون فعرف بفرناندو الثاني.

سار سانشو الثالث على سياسة أبيه وجدد مع رامون برنجير الرابع ملك أرغونة اتفاقية تطيلة الخاصة بتقسيم الأندلس سنة 552هـ/1158م بينهما.

## 2- استعدادات الموحدين لغزو النصارى

- بناء مدينة على جبل طارق تعرف بمدينة الفتح فكانت مدينة بحرية حصينة اعتبرها أغلب المؤرخين من أهم الأعتال العسكرية التي توجت أعمال عبد المؤمن وخلدت ذكره لتكون همزة الوصل بين المغرب والأندلس.

- أمر بانطلاق التحضيرات اللازمة للغزو: بناء الأساطيل، واستجلاب الخيول، وصناعة الأسلحة (من السيوف والنبال والرماح)

## 3- طبيعة العلاقات السياسية:

- كانت قائمة على المصلحة، لا عداوة دائمة ولا صداقة دائمة في السلم والحرب والمعاهدات والاتفاقيات.

- كانت في أغلبها تحمل في خلفياتها البعد الديني وتبطن في طياتها الصراع الأزلي بين الصليب والهلال، فهذا الصراع لم يخفت أبداً فهناك أحداث تؤججها ومصالح ومقتضيات وضرورات المرحلة تنقص من جذوتها.

- النفوذ والسيطرة والتوسع الاستراتيجي: كان كل طرف يحاول أن يمكّن لدينه ويحاول أن يحكم سيطرته على همزة الوصل أو المفتاح، فكان المسلمون ينظرون للأندلس على أنها بوابة الدخول إلى أوروبا ونشر الدين الإسلامي، بينما كان العالم المسيحي يرى من الأندلس بوابة الدخول إلى العالم الإسلامي لنشر المسيحية.

4-العلاقات الاجتماعية: الصراع بين الصليب والهلال لم يكن حائلاً ومانعاً من تعايش هذه المجتمعات فيما بينها والتسامح الديني، الذي ينظر للآخر من الجانب الإنساني فحتم الجوار والجاليات الدينية من تأثير وتأثر بالآخر ناهيك ممن يعيش من النصارى بين أظهر وربما العكس، وتتجلى مظاهر هذا التعايش في:

أ- العادات والتقاليد: يأتي على رأس هذه العادات: الاحتفالات، الطعام والشراب واللباس

-اللباس: تأثرت الكثير من النصرانيات بلباس المرأة المسلمة المحتشم فقلدوهن في لبس الحجاب، وأخذ

النصارى عادة الاستحمام على المسلمين

-التأثر بعبارات التحية وآداب المجتمع الإسلامي.

-تأثر النصارى بفنون الموحدين وانتقالها إلى ممالكهم النصرانية خاصة في العمارة والفنون الصناعية.

ب- التصاهر(الزواج المختلط): كان في أغلبه يخضع للمصالح السياسية في المقام الأول، وكان نتيجة

السي و كان يقوم به القادة وفق توازنات وتحالفات، فقد كان ظاهرة شائعة في اسبانيا الإسلامية والمسيحية

على السواء وتنتقل من خلاله عادات وتقاليد الآخر، وترتبط بموجبه مجتمعات، ولم يجد الخلفاء الموحدون

حرجاً في الزواج من النصرانيات، فالخليفة أبو يعقوب يوسف تزوج من إحدى سبايا النصارى اسمها

ساحر وأنجبت له ابنه يعقوب المنصور الذي تولى الخلافة من بعده، ثم تولى الخليفة المنصور من إحدى

سبايا مدينة شنترين اسمها سر الحسن التي أنجبت له ابنه عبد الله الذي تولى الخلافة فيما بعد باسم

الخليفة العادل وهكذا.

# الدرس التاسع: علاقة الحفصيين والزيانيين والمرينيين بالممالك النصرانية.

عناصر الدرس:

تمهيد

العلاقات السياسية بين الكيانات الثلاث وبني الأحمر في غرناطة

علاقات الحفصيين مع الممالك النصرانية

علاقات الزيانيين مع الممالك النصرانية

علاقات المرينيين مع الممالك النصرانية



**تمهيد:** عرف الغرب الإسلامي مع مطلع القرن السابع الهجري تغيرات جذرية تمثلت في تراجع دور الموحدين وضعفهم العسكري والسياسي خاصة بعد الهزيمة الكبيرة في المعركة حصن العقاب منذ سنة 609هـ/1212م، ونتج عنه تفكك أوصالها وتراجعها ثم زوال نفوذها حيث انبثق عنها وتولد منها في اطارها الجغرافي ثلاث كيانات: الحفصية في المغرب الأدنى (افريقية)، الزيانية فقي المغرب الأوسط (تلمسان)، المرينية في المغرب الأقصى (مراكش)، حيث سعت كل واحدة منها إلى بسط نفوذها السياسي ووراثة التركة الموحدية وخلافة السلطة السياسية في بلاد المغرب، وكان لظهور هذه الدويلات تبعات كثيرة أهمها ظهور خريطة سياسية جديدة للعلاقات تميزت بالصراعات والعداء والحروب المستمرة من أجل ابراز القوة وبسط النفوذ على كامل بلاد الغرب الإسلامي بما فيها الأندلس، فكيف كانت علاقاتها مع الأندلس والعالم المسيحي؟

### أولاً: العلاقات السياسية بين الكيانات الثلاث وبني الأحمر في غرناطة:

تمكن محمد بن يوسف بن الأحمر بعد مقتل ابن هود في ألميرية ودبت الفوضى فيها من الدخول إلى غرناطة في شوال 635هـ/1238م ويقوم فيها مملكته التي دامت (621-635هـ)، وارتسمت حدود مملكة بني الأحمر التي جمعت في أشلائها الأندلس المنهارة وعاصمتها غرناطة، وكان لتباين القوة بين دول المغرب الإسلامي دور في تباين العلاقات بين دولة بني الأحمر ودول العدو المقابلة، وبما أن الأندلس كانت مرتبطة سياسياً بالدولة الموحدية فقد شكل استمرار العلاقة مع الأندلس تحداً للكيانات الثلاث.

لذا فإن بني الأحمر كانوا يتجنبون التعامل مع هذه الدول في عصر قوتها، حيث تزداد الشكوك لديهم تجاهها خاصة مع الدولة المرينية التي كان لها دوراً كبيراً في الجهاد بالأندلس أين جاز سلاطينها إلى العدو الأندلسية عدة مرات، أهمها كان في عهد محمد الثاني الفقيه (672-701هـ)، وغاز يعقوب بن عبد الحق أربع مرات أولها 672هـ.

وظل الصراع بين دويلات المغرب الجديدة يمثل الأمان لبني الأحمر، فقد عملوا على تأييد الزيانيين بشتى الوسائل كي يظلوا شوكة في طريق الدولة المرينية حتى ينشغلوا عنهم.

وكانت تبعات سقوط الموحدين ثقيلة الحمل وصعبة على المسلمين وتواجههم في الأندلس، فقد ظهرت زعامات محلية ومنقسمة ومتفرقة ومتحاربة سهلت كثيراً مهمة النصارى الذين كانوا مدفوعين بعدد الخلفيات

الدينية والقومية والسياسية والنزعة الصليبية المشتركة ضد الإسلام والتمهيد لمشروع الاسترداد، وأصبحت الفرصة سانحة لتفوية البقية الباقية من المسلمين في الأندلس، وقد بدأ عملية الاسترداد ملك قشتالة فرناند الثالث.

## ثانيا: علاقات الحفصيين مع الممالك النصرانية

1-نبذة عن الدولة الحفصية في افريقية (تونس): اسسها أبو بكر بن أبي محمد بن أبي حفص تضم تونس و طرابلس الغرب و الشرق الجزائري عاصمتها تونس، ويعتبر الانفصال الرسمي عن دولة الموحدين بالنسبة للحفصيين على يد أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي دامت سنة 625-941هـ/1228-1534م.

## 2-طبيعة العلاقة بين الحفصيين وبني الأحمر

عندما قامت الدولة الحفصية في المغرب الأدنى كان الوجود الموحدية في الأندلس يتلاشى، وكانت هزيمة الموحدين في معركة العقاب بداية النهاية للتواجد الموحدية في الأندلس لذلك اضطرت البلاد وطمع القادة المسلمون في ضم مساحات واسعة من التركة الموحدية في الأندلس على غرار ما تم في بلاد المغرب.

وكان ضعف الموحدين وهزيمتهم أمام الجيوش المسيحية في الأندلس السبب في اتجاه الممالك المسيحية في الأندلس لضم أملاك المسلمين، فتقدمت القوات الأرجوانية وفرضت حصارا قويا على مدينة بلنسية سنة 635هـ/1237م، فخرج من بلنسية وفد من أهلها أرسله أبو جميل زيان بن مردنيش والي الموحدية على بلنسية لطلب النجدة من السلطان الحفصي أبو زكرياء، وكان أن تولى العالم محمد بن عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن الأبار القضاعي(ت658هـ/1260م) رئاسة هذا الوفد.

ولما وصل ابن الأبار تونس عاصمة الدولة الحفصية أنشد قصيدة طويلة يستنجد فيها بالسلطان الحفصي أبو زكرياء، قال في مطلعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

يا للجزيرة أضحي أخلها جزرا للحادثات وأمسى جدها تعسا

ففي بلنسية منها وقرطبة ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

مدائن حلها الأشراك مبتسما جدلان وارتحل الإيمان مبتسما

ولأن السلطان أبو زكرياء كان يحكم أقوى دول المغرب الإسلامي في تلك الفترة، وكان يعلم جيدا الدور المحوري الذي تؤديه الدولة الحفصية في بلاد المغرب والذي يمكنها من تحقيق رغبتهم في أن يرثوا كل أملاك الموحدين، أرسل لأهل بلنسية أسطولا كبيرا من المساعدات كان يضم ثمانية عشر قطعة بحرية محملة بالسلح والنؤن والعتاد، إلا أنه غداة وصوله لبلنسية كانت قد لقيت مصيرها بالسقوط في قبضة الجيش الأراجوني، فعادت السفن للمغرب.

ومن الأمور المهمة في العلاقات الحفصية مع بني الأحمر التي ورثت دولة الموحدين في الأندلس، هو أن الخليفة الموحد علي بن إدريس الملقب بالسعيد كان قد قام بقطع المساعدات التي كانت ترسلها الدولة الموحدية إلى دولة المسلمين في الأندلس، وهي دولة بني الأحمر حتى تتمكن من التصدي لهجمات النصارى، فقام مؤسس مملكة غرناطة محمد بن الأحمر بقطع دعوته للموحدين، وبابع السلطان الحفصي أبو زكرياء مقابل الحصول على المساعدات، وبالفعل بعد وصول طلب الدخول في طاعته أرسل أبو زكرياء الحفصي المساعدات لابن الأحمر.

وفي عام 646هـ/1248م عندما اشتد الحصار القشتالي على مدينة اشبيلية احدى المدن الأندلسية المهمة، تم إرسال وفد أندلسي من أهلها السلطان أبي زكرياء الحفصي يطلب منه العون والمدد للوقوف في وجه الحصار القشتالي للمدينة، إلا أنه مثلما حدث مع أهل بلنسية حدث مع أهل اشبيلية، حيث لم يتمكن الأسطول الحفصي من الوصول إليها ولاقت مصيرها بالسقوط في قبضة القشتاليين في عام 646هـ/1248م.

### 3-علاقتها مع الممالك النصرانية

كانت الحملة الصليبية على تونس عام 658هـ/1270م احدى أهم محاور العلاقات الإسلامية المسيحية في العصور الوسطى، حيث أن الحملة كانت تعتبر تحولا خطيرا فيما يعرف بموجات الحروب الصليبية، وكانت هذه المرة الأولى التي تتوجه فيها حملة صليبية بعيدا عن ميدان الحملات السابقة وهو المشرق الإسلامي.

وهذه الحملة كانت قد قامت بها فرنسا بقيادة ملكها لويس التاسع الذي كان قد تم أسره في المنصورة في دار ابن لقمان بعد حملته الشهيرة على دمياط سنة 648هـ/1250م. إلا أنه هذه المرة اتجه إلى تونس ولم يتجه إلى مصر، فما أسباب تغيير المسار.

يذكر بعض المؤرخين أن سبب الحملة الصليبية على تونس بقيادة لويس التاسع أن لويس التاسع كان قد ذكر في أحد مجالس المستنصر الحفصير وكان بعض الترك بين يديه، فلما ذكر لويس التاسع قال المستنصر هو الذي أسره هؤلاء (يقصد الترك) وأطلقوه فبلغ ذلك القول للويس التاسع فحقد على المستنصر الحفصير، ورأى ضرورة التوجه إليه بحملة كبيرة لتأديبه والانتقام منه على ما قاله<sup>1</sup>.

ويؤكد ابن تغرى بردى أيضاً أن بعض الأبيات الشعرية المغربية كانت قد وصلت لمسامع لويس التاسع، وكانت تستهزء به، وتذكره بأن تونس أخت مصر، وتذكره بواقعة أسره بدار ابن لقمان حيث قال أحد الشعراء المغاربة:

يا فرنسيس هذه أخت مصر فتهايم لما إليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكير<sup>2</sup>

في حين يذكر بعض المؤرخين أن السبب في توجه لويس التاسع ملك فرنسا إلى تونس كانت الهزيمة البشعة التي لقيها على تراب مصر في حملته عليها سنة 648هـ/1250م، والتي انتهت بأسره في دار ابن لقمان، وكان ذلك كفيلاً في عودته للانتقام مرة أخرى، فبعد أن مكث في الشام فترة، وعاد إلى بلده فرنسا في عام 652هـ/1254م، وكان قد تعهد بعدم العودة لمهاجمة مصر أو المسلمين مرة أخرى، إلا أنه حسبما يذكر المؤرخ ابن قنفذ القسنطيني "... أبت نفسه الخبيث إلا نكث العهد ونزل بساحل أفريقيا..."<sup>3</sup>

ومن أرباب هذا الرأي القائل بأن حملة تونس كانت انتقاماً للحملة وما دار من أحداث في مصر المؤرخ محمد بن شاكر الكتبي، الذي يرى أن الملك لويس التاسع كان قد غادر مصر بعد أسره في دار ابن لقمان والنار تملأ قلبه مما دار بها من أخذ الأموال وقتل الرجال ووقوعه في الأسر، فغادر وكله شوق ورغبة في العودة للانتقام، ولكن السبب في اتجاهه لتونس وليس مصر هو تحذير قاداته له من أنه إذا اتجه لمصر سيحدث له ما حدث في حملته السابقة، وإنما استقر الرأي على تونس، وأغروه بأن استيلاءه عليها سيمهد لا محالة لدخول مصر<sup>4</sup>.

1 - ابن الشماخ، الأدلية البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية - تحقيق محمد الطاهر محمد بن العموري، تونس، 1984م، ص 70، الوزير السراج، الحلال السندسية في ذكر الأخبار التونسية - تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984م، ج 1، ص 1033.  
2 - ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج 6، ص 368.  
3 - ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص 111.  
4 - الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين، النهضة المصرية، القاهرة، د، ت، ج 1، ص 156.

ويؤكد بعض المؤرخين المستشرقين أن الحملة الصليبية القادمة كانت في مجملها رغبة جامحة لدى الملك لويس التاسع في الحرب باسم الصليب من جديد لمسح الصورة التي لحقت به وبجنوده في حملته على نصر وما دار بها من أحداث كانت في نظر الكثيرين إهانة ما بعدها إهانة، وهنا قرر الملك أن يسترد الشرف لاسمه ولاسم جيشه، فقرر التوجه بحملته الصليبية الثامنة على تونس في عام 668هـ/1270م<sup>1</sup>.

كما يذكر البعض أن السبب في توجه الملك لويس التاسع ملك فرنسا بالحملة الصليبية الثامنة إلى تونس كان لسبب ديني وهو أن لويس حاول نشر المسيحية في شمال أفريقيا، مستندا إلى مكاتبه قد وردت إليه من الراهب القطلوني المشهور راييموند مارتن الذي كان في تونس في تلك الفترة، وهو أحد أشهر الرهبان المسيحيين في عصره، نزل تونس وتقابل مع سلطانها المستنصر، الذي استدعاه أكثر من مرة لتوضيح بعض الأمور الخاصة بالديانة المسيحية، وهنا ظن الراهب أن السلطان يكثر الأسئلة لرغبته في الدخول في المسيحية، وهنا ظن الراهب أن السلطان يكثر الأسئلة لرغبته في الدخول في المسيحية، وهنا راسل الراهب الملك لويس محبا إليه التوجه بحملة لتونس لتحويل أهلها للمسيحية، نظرا لما بدر من سلطانها المستنصر<sup>2</sup>.

ويؤكد مؤرخ آخر الرأي القائل بأن القصد من حملة لويس التاسع على تونس كان بثصد نشر المسيحية والتوسع، ويقول بأن المبشرين المسيحيين في تونس هم الذين أقنعوا الملك بضرورة التوجه لتونس بحملة لتحويل أهلها للمسيحية، حيث أن سلطانهم المستنصر كان قد أبدى معهم تسامحا كبيرا، ومن جهة نظرهم أن تعامله معهم يدل بصورة مباشرة على عدم منعه التحول للمسيحية.

ومن مؤيدي هذا الرأي من يذكر أن تسامح السلطان المستنصر مع المسيحيين، هو من أسس قناعة لدى الملك لويس التاسع بأن يتجه بحملته لتونس وكان ذلك بقصد نشر المسيحية، وأن تونس بمواردها وموقعها تمكنه من تحقيق هدفه هذا.

1 - شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية ترجمة محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الجزائر، 1986م.

2 - Michael lower, Tunis in 1270K A case study of interfaith Relation in the late Thirteenth century, The international history Review, vol, 28, No.3 (sep, 2006), pp.504 – 505.

### ثالثا: علاقات الزيانيين مع الممالك النصرانية

1- نبذة تعريفية عن الدولة الزيانية في المغرب الأوسط (الجزائر): أسَّسها يغمراسن زيان في 633هـ،

وأنَّحذت مدينة "تلمسان" عاصمةً لها، ودامت ثلاثة قرون، كلُّها حروب مع الجيران والإسبان أي 633-796 هـ/1335-1339.

### 2- طبيعة العلاقة بين الزيانيين وبنو الأحمر بغرناطة

كانت في مجملها ودية وكانت تسعى دائما إلى استجابة نداءات النصر المتهكرة، ومدّ جسور التواصل والتعاون والتقارب فيما بينهما سياسيا ودبلوماسيا واقتصاديا والدليل على ذلك تبادل الهدايا، ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

أ- تبادل السفارات بين الطرفين أهمها تلك التي أرسلها السلطان محمد الفقيه في آواخر سنة 676هـ، 1278م إلى السلطان يغمراسن بن زيان التي تهدف إلى تشجيع وتأييد السلطان الزياني على مشاققة ومعاودة السلطان أبي يوسف بهدف إعاقته عن التحرك للغزو والفتح كما تبادلوا الهدايا والتحف، واستمرت العلاقة الودية بعد يغمراسن.

ب- رسائل النصر والشكر: ولعل أهمها تلك التي وردت على بلاطات تلمسان من طرف الغني بالله محمد الخامس في رمضان 767هـ/1366م يستنجد به لنصرة المسلمين، والرسالة الثانية وردت في نفس السنة من محمد عبد الغني إلى أبي حمو موسى يسكره ويمدحه بما قدمه من أموال ضخمة وسفن مشحونة بالخيول والسلاح، ورسالة ثالثة تحمل نفس المعنى مرفقة بقصيدة تهنئة في 774هـ/1373م<sup>1</sup>، كما أن رسائل الاستنجد كانت متبادلة حيث أن السلطان الزياني أبو حمو موسى قد استنجد في 785هـ/1383م بالأندلس لمواجهة السلطان المريني أبو العباس بن ابراهيم الذي تمكن في الأخير من قتل السلطان الزياني<sup>2</sup>.

1 - يحي بن خلدون، أبي زكرياء ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن (ت. 780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح ، بوزياني الدراجي، ج2، دار الأمل، الجزائر ، 2007، ص 335.

2 - عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم، مج 7 " عهد بني مرين والوطاسيين"، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1988، ص 22.

كان أول اتصال بين " يغمراسن " ببني الأحمر سنة 672هـ في عهد " محمد الفقيه " كما ذكرنا سابقا، اين اتصل بالسلطان الزياني وتعاهد معه على الوقوف في وجه " يعقوب بن عبد الحق " الذي استفحل أمره في الأمدلس، وكان الاتفاق على شن الغارات على ثغوره ليكون ذلك شاغلا له عن أمر الجهاد في الأندلس، كما أرسل " يغمراسن " للسلطان " محمد الفقيه " ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف لمواجهة الصليبيين<sup>1</sup>. ولم تقتصر العلاقات بين الدولتين عهد " يغمراسن " ولم تقتصر على الدعم من أجل مواجهة حرب الاسترداد الصليبي أو توجيه أنظار المرينيين على بلاد الأندلس، فنجد أن الأمراء والوزراء والقادة وحتى الشعراء قد لجأوا إلى البلاط الغرناطي أثناء فترة السيطرة المرينية على تلمسان (737هـ - 749هـ) فقد لجأ الأمير " أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان " رفقة أبيه " عبد الرحمن " وإخوته أبو ثابت ويوسف وإبراهيم ورفقة أتباعهم<sup>2</sup>، ونزلوا واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء.

وبرزت العلاقات بشكل أكبر في عهد " أبي حمو موسى القاني " الذي كان يمد أهل غرناطة المؤونة والمال والخيال، فقد أرسل إليهم خمسين ألف قذح من الزرع سنة 763هـ/1361م<sup>3</sup>، وقد عبر الوزير لسان الدين بن الخطيب بقوله: لقد زار الجزيرة منك بحر يمد فلبس نعرف له جزرا.

كما مدح مدينة تلمسان بقوله: حيث تلمسان الحيا فربوعها صدف يوجد بدره المكنون<sup>4</sup>

### 3-علاقتها مع الممالك النصرانية:

بلغت دول إسبانيا النصرانية في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري خمس دول، هي

- 1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص، ص، 266 - 267.
- 2 - ابن الأحمر، أبي الوليد إسماعيل ( ت. 807 هـ)، روضة النسرين في دولة بني مرين، تح، عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص53.
- 3 - محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور " دورها في سياسية وحضارة الجزائر"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص، 135 - 221.
- 4 - المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت. 1081هـ)، نفخ الطيب من غصن أندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، مج، 7، دار صادر، بيروت، 1968، ص 129.

قشتالي وأرغون<sup>1</sup> وليون ونفار والبرتغال وكان أقواها مملكة قشتالة التي نازل ملكها " ألفونس القامن " الموحدين في معركة الأرك في 591هـ/1194م وحصن العقاب في 609هـ/1212م، ويظهر دور قشتالة أكثر بعد ضمها للممالك الأخرى وتمكن جيوش " فرديناند الثالث " من السيطرة على قرطبة في 23 شوال 633هـ/1235م وحولو المسجد الجامع إلى كنيسة وهذا كان شعارهم كلما دخلوا مدينة إسلامية، وجيآن في 643هـ/1244م وإشبيلية في 646هـ/1248م وانتقال عاصمة قشتالة من طليطلة إلى إشبيلية، أما ملك أرغون " خايمي الأول " (جامقة الأول) فقد تمكنت جيوشه من إسقاط بلنسية في 636هـ/1238م، وقد تعاونت هاتين الدولتين على مهاجمة الأندلس والقضاء على الموحدين، ناهيك عن مملكة البرتغال التي سعت لاحتلال كل الأراضي التابعة للمسلمين غرب الأندلس<sup>2</sup>.

### واقع العلاقات السياسية مع مملكة أرغون وقشتالة

استقبل كل من البلاط الزياني والنصراني خلال القرنين السابع والثامن عدا من السفارات المتبادلة بين الطرفين، وقد كان أغلبها من أجل عقد معاهدات الصلح والسلام، والأصل في الأمر أن الأرغونيين سعوا للسيطرة على الطرق التجارية التي نصل بالسواحل الزيبانية كما فعل الملك " خايمي الأول " عندما هاجم سواحل تلمسان ووهران سنة 627هـ/1230م، لكنه سرعان ما أدرك أن السياسة العدائية ليست في مصلحته وأصدر قرارا يمنع رعاياه من القرصنة ضد البلدان المهادنة، وهو ما جعل يغمراسن يبادر بإرسال سفيره " أبي أرلان " سفيرا إلى برشلونة فعقد معاهدة تجارية مع قطلونيا<sup>3</sup>. وفي 648هـ/1250م صدر المرسوم الأرغواني الذي يؤكد منع القرصنة، فبدأت العلاقات تتضح أكثر خاصة في 652هـ/1245م أين أصبح قائد السرية المسيحية<sup>4</sup> في تلمسان مسؤولا في نفس الوقت على التجار القطلونيين. وفي 664هـ/1265م قام " خايمي الأول " بإرسال الفارس " بار دي

- 1 - مملكة أرغون، اسم بلاد غرسية بن شانجة تشتمل على إقليم أرغون وقطلونيا وبلنسية شرق الجزيرة الإيبيرية جنوب جبال ألبرت، عاصمتها سرقسطة فتحها المسلمون في 96هـ أنظر: الحميري: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ( ت، 866هـ)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، ليفي بروفانسال، ط2، دار الجيل بيروت، 1988، ص12، لطيفة بشارى، العلاقة التجارية بين إمارة بني عبد الواد ومملكة أرغون، مجلة الاتحاد العام للثائرين العرب، العدد، 12، الاتحاد العام للثائرين العرب، القاهرة، 2011، ص94.
- 2 - علي حسن الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص61.
- 3 - أمال سالم عطية، السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ( 13 - 14 م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف ، عوييد بوداود، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2016، ص194.
- 4 - قائد السرية المسيحية، ويسمى القائد الأعلى ، حيث عمل سلاطين بلاد المغرب وخاصة الزيانيين بتأجير المرتزقة القطلانيين في جيوشهم وحمايتهم الشخصية والبلاطية، وكان الملوك النصارى هم الذين يتولون بأنفسهم تأجير مرتزقة الحرس، فصار لهم بذلك تأثير. أنظر، عمر سعيدان، علاقات اسبانيا القطلانية في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي ، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، 2002، ص50.



فيلارجيت" سفيرا وقائدا أعلى إلى تلمسان لمدة ثلاث سنوات، يقوم خلالها بالقيام بمهام عسكرية، التدريب و الإشراف على الجند المسحيين الذين كانوا في خدمة الدولة الزيانية، ومهام مدينة متمناة في رعاية التجار الأوربيين.

أما الملك " بيار الثالث" (بطرس الثالث) الذي خلف أباه فقد كلف سفيره " بارنار بورتير" بعد ثلاث أشهر من تولية الحكم بعد وفاة والده في 675هـ/1276م بالسفارة لعقد معاهدة تجارة وسلم مع " يغمراسن"، كما امر بإعطاء جواز مرور دائم لبعض التجار التلمسانيين أمثال " محمد بن أبي عبد الله بن بريدي" وزير " يغمراسن"<sup>1</sup>. وفي 677هـ/1278م منح " بيدرو" جواز سفر دائم لأربع وعشرين مسلما من بلنسية للمتاجرة في السواحل التلمسانية وتوسيع التجارة بين البلدين، ويظهر اهتمامه أيضا بتعيين ابنه قائدا بتلمسان ما بين 676-668هـ/1277-1279م<sup>2</sup>. واستمرت هذه السياسة في عهد " ألفونسو القالقي" (1283 - 1291م) الذي جدد علاقات الود مع الزيانيين فعقد مع " عثمان بن يغمراسن" في 686هـ/1286م معاهد صداقة وتجارة والتي نصت على منح تلمسان نصف عائدات موانئه وخانا للمسحيين في وهران<sup>3</sup>، وهو غير مانصت عليه المعاهدة القطلانية الإفريقية ببلنسية 670هـ/1271م التي حددت في مادتها الثالثة والعشرين على دفع عشر قيمة البضائع. ومما سيق يمكننا أن نحدد طبيعة العلاقات بين الدولة الزيانية ومملكة أرغون وقشتالة، فقد تميزت بالإستقرار والتزم سلاطين الدولتين باحترام بنود المعاهدات التي كانت بينهما التي نصت دعم السلم والصلح وتشجيع ودعم العلاقات التجارية فيما بينهما.

## رابعاً: علاقات المرينيين مع الممالك النصرانية

**1-نبذة تعريفية عن دولة المرينيين في المغرب الأقصى:** أسسها بنو مرين و بسطت نفوذها على المغرب الاقصى على يد أبو يحيى بن عبد الحق عاصمتها فاس و بعد هزيمة الموحديين زحفوا إلى الشمال و أعلنوا استقلالهم و استولوا على مراكش دامت 591-957 هـ/1195-1550م.

## 2- طبيعة العلاقة بين المرينيين وبنو الأحمر بغرناطة

1 - أمال سالم عطية، المرجع السابق، ص، 195.

2 - لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 97.

3 - 1<sup>er</sup> d'Abou Tachfin , et d'Abou Dhina le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou

Hammou Moussa 1<sup>er</sup>

office des publication universitaires, Alger, s, d, p139.

اعتمدت سياسة دولة بني مرين في التعامل مع مملكة غرناطة الأندلسية، وخاصة خلال العصرين المرينيين الأول والثاني على مجموعة من الثوابت الراسخة أهمها:

-استغلال كافة الفرص لتوجيه الحملات العسكرية تجاه الأندلس لإنجادها، وحماية مملكة غرناطة الإسلامية من حروب الاسترداد النصرانية، سواء كان ذلك بسبب الاستغاثات التي كان يوجهها ملوك بني الأحمر في غرناطة أو تطبيقا لسنة الجهاد في سبيل الله.

ومن ضمن تلك الثوابت أيضا عدم التدخل في الشؤون الداخلية الغرناطية والحرص على سيادتها سياسيا وجغرافيا، وقد نظرت الدولة المرينية إلى غرناطة على اعتبار أن كل من الدولتين هي بمثابة الرئة للأخرى، وأن الاعتداء على الأندلس هو اعتداء على المغرب، لقناعتها أن العدو لا يفرق في سياسته العدوانية بين البلدين، إلا أن ذلك لم يلق الصدى المطلوب لدى غرناطة، فتراوحت سياستها في معظم الأحيان ما بين التعاون مع المرينيين للدفاع عن كيان المملكة الغرناطية وما بين التوجس من نواياهم والتدخل في شؤونهم، ومحالفة النصارى ضدهم كما فعل من قبل عبد الرحمان الثالث الذي حكم الأندلس ما بين سنة (300-350هـ/912-961م) حين تحالف مع أعداء الدولة الفاطمية من ملوك أوروبا مثل بروفانس ملك إيطاليا<sup>1</sup>.

بعد أن قامت دولة بني مرين سنة 668هـ/1269م على أنقاض دولة الموحدين، وتم للسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (656-685هـ/1258-1286م) السيطرة على كامل أراضي المغرب الأقصى بفتح مدينة سجلماسة سنة 673هـ/1274م، نظرت للأندلس بأعين مليئة بالتوقد ورغبة بالجهاد ضد الممالك النصرانية الإسبانية تلبية لنداء الدين والواجب.

أدرك بنو الأحمر ملوك غرناطة من جانبهم أهمية التحالف مع بني مرين للتعامل مع الأخطار المحدقة بهم، وكان على رأس هؤلاء محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر (ت 671هـ/1272م)، حيث وجه قبيل وفاته نداء استغاثة للسلطان المريني يعقوب بن عبد الحق من أجل وقف الزحف القشتالي بقيادة العاشر (1262-1284م) على الأراضي الأندلسية، إلا أن صدى هذه الاستغاثة لم يتحقق إلا بعد وفاته، أي في أيام ولده محمد الثاني الملقب بالفقيه (671-701هـ/1272-1301م)، الذي كان والده قد أوصاه بضرورة الاستنجاد بالمرينيين كلما لاح شبح الخطر.

1- ابن عذاري، البيان، ج2، ص319.

ونتيجة لذلك فقد تمخض العبور المريني الأول للميدان الأندلسي سنة (673-674هـ/1274-1275م) عن نتائج سياسة كان لها أثرها على الوجود الإسلامي في آخر ما تبقى من الأندلس، إذ تعزز الاستقلال الغرناطي وأصبح في مأمن من الخطر النصراني ولو بشكل مؤقت، وارتفعت الروح المعنوية للغرناطيين والمغاربة على حد سواء وذلك بعد أن تمكنت الجيوش الإسلامية من الوصول حتى إشبيلية حاضرة الفونسو العاشر ملك قشتالة وقتل قائده العسكري (ذنونه) دونونيو دي لارا (Nunio de Lara).

وكان لهذه الانتصارات دور في تعزيز تواجد المرينيين في القواعد الأندلسية الجنوبية، كجبل طارق والجزيرة الخضراء وطريف ورندة، واتخاذها رأس جسر للتدخل المريني وقت الجهاد، ومن الجدير ذكره أن السلطان المريني أبو يوسف يعقوب قد اشترط على ابن الأحمر حينما استنجد به التنازل عن بعض الثغور والقواعد جنوبي الأندلس.

ازدادت العلاقة بين السلطان يعقوب ومحمد الفقيه سوءا بسبب قيام محمد بن أشقيلولة بالعبور إلى المغرب بعد وفاة والده عبد الله سنة 676هـ/1277م، والنزول عن مالقة للسلطان المريني، وقال له "إنني عجزت عن ضبطهما فإن لم تصل إليها وتقبضها من يدي أعطيتها الروم ولا يتملكها ابن الأحمر"، فبعث السلطان يعقوب له ولده الأمير أبا زيان واستلمها منه، رغم محاولة محمد الفقيه بن الأحمر استعادتها، إلا أنه فشل في تحقيق ذلك.

ووصل سوء العلاقة مداه عندما عبر السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق إلى الأندلس للمرة الثانية سنة 676هـ/1277م، ونزل بمالقة واحتفل به أهلها من بني أشقيلولة، واشتركوا معه في التوغل في الأراضي القشتالية، ولم يحرز اللقاء الذي تم بين السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق ومحمد الفقيه ملك غرناطة عند أحواز قرطبة عن تقارب في العلاقات، وإنما غلب عليه طابع اللوم والمعاتبة وانفض اللقاء دون أن تصفى القلوب بين الطرفين.

وبعد انتهاء العمليات العسكرية المرينية ضد الإسبان بادر السلطان يعقوب بن عبد الحق بالقيام بخطوات من شأنها تحسين أجواء العلاقة مع غرناطة، أهمها قيام السلطان المريني برفض التوقيع على طلب الصلح المقدم من ملك قشتالة في رمضان من سنة 776هـ/كانون ثاني 1278م وترك الأمر للفقيه حفاظا على سيادة المملكة الأندلسية، كما تنازل السلطان عن جميع غنائم هذه الحملة العسكرية لمحمد الفقيه بن الأحمر قائلا له "يكون حظ بني مرين من هذه الغزاة الأجر والثواب".

إلا أن محمد الفقيه قرر القيام بعدة إجراءات معادية للمرينيين، حيث قام بالاتصال مع الفونسو العاشر ملك قشتالة ويبيدرو الثالث (1276-1283م) ملك أراجون، وعقد معهما اتفاقية دفاعية ضد السلطان المغربي

تقضي بمنع المغاربة من الجواز إلى الأندلس، وقام الإسبان لذلك بإنزال أساطيلهم بمياه مضيق الزقاق ضاربين بعرض الحائط الاتفاقات والمعاهدات السابقة، وقام الجيش النصراني أيضاً بالإعتداء على القوات المرينية المتواجدة على أرض الجزيرة الخضراء بالاتفاق المبيت مع ابن الأحمر.

### 3-علاقتها مع الممالك النصرانية

ملأت دولة بني مرين في نظر كل من الأندلسيين ونصارى إسبانيا الفراغ الذي تركته دولتي المرابطين والموحدين، وأدت الدور نفسه الذي لعبته الدولتان السابقتان في ميدان السياسة و الحرب وذلك من خلال رفعها لواء الجهاد ضد الممالك النصرانية في إسبانيا، وذلك بهدف:

- المحافظة على الوجود الإسلامي في الأندلس من خلال الوقوف في وجهه حركة الاسترداد الإسباني التي سعت إلى إنهاء هذا الوجود.

-الدفاع عن النفوذ الإقليمي للدولة المرينية على أراضيها وفي حوض البحر المتوسط.

وقد تمثلت حركة الجهاد المريني ضد الممالك النصرانية الإسبانية بسلسلة من المعارك والحروب والإجراءات العسكرية، رافقها العديد من اتفاقات الصلح والهدن على مدار أكثر من تسعة عقود من الزمن (668-759هـ/1269-1358م) بوتيرة ارتبطت في معظم الأحيان بالأوضاع الداخلية للدولة المرينية، ولعل ذلك ما يميز المرينيين عن معاصريهم بني حفص وبني زيان الذين اقتصر جهادهم في معظم الأحيان على العون المادي فقط كقيام أبو حمو موسى الزياني سنة 763هـ/1362م بإرسال كميات كبيرة من الحبوب وثلاثة آلاف دينار مساعدة لأهل الأندلس.

ومنذ سنة 759هـ/1358م حتى نهاية دولة بني مرين سنة 869هـ/1465م أخذت العلاقة مع الممالك النصرانية شكلاً آخر اتسمت بالهدوء أحياناً والتدخل في الشؤون الداخلية أحياناً أخرى، ورافقها أيضاً إبرام العديد من الاتفاقات المشتركة على أكثر من صعيد.

وقد غلب على سياستهم تجاه الممالك النصرانية الجهاد ووضعوا على عاتقهم حماية التواجد الإسلامي في الأندلس باعتبار المكانة التي وضعوا فيها أنفسهم وارثي إرث الموحدين الغابر.

استؤنف الجهاد الحقيقي والفاعل فور عودة السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق من فتح سجلماسة إثر استغاثة الملك الغرناطي محمد الفقيه بن الأحمر به سنة 672هـ/1273م، وسبق ذلك محاولات مرينية لممارسة فريضة الجهاد قبل قيام دولتهم، ففي سنة 643هـ/1245م هاجم النصارى الإسبان إشبيلية وحينها قرر الأمير يعقوب بن عبد الحق العبور إلى الأندلس للمشاركة في الدفاع عنها، إلا أن الشيخ الصالح يعقوب بن هارون زجره عن ذلك ونصحه بعدم الجواز حتى تفتح مراكش وتقام الدولة.

وفي سنة 660هـ/1262م، انطلق مجاهدو بني مرين والمتطوعة منهم من أهل المغرب إلى الأندلس بقيادة محمد بن إدريس بن عبد الحق وأخوه الفارس عامر بن إدريس في جيش مكّون من ثلاثة آلاف فارس وراجل، مجهزين من قبل الأمير يعقوب بن عبد الحق بالخيول والسلاح والعدة، بعد أنكتب إلى الفقيه أبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله العزفي (ت. 717هـ/1317م) صاحب سبّعة للعمل على اجازتهم، وقد عدّ ذلك أول جيش مريني يعبر الأندلس، واستطاع الفارس عامر بن إدريس خلال هذا العبور انتزاع مدينة شريش من يد الإسبان لمدة قصيرة فشكّل ذلك بارقة أمل لدى المغاربة والغرناطيين.

غير أن الطبيعة العدائية التي طغت على سياسة بني مرين تجاه الممالك النصرانية، لم تمنع السلطان يعقوب بن عبد الحق من استقبال قادة النصارى كلاجئين سياسيين إلى بلاطه، بل كان يرى في ذلك مصلحة إسلامية بحتة، تصبّ في خدمة الجهاد المريني ضد النصارى الإسبان، وذلك عندما استقبل سنة 669هـ/1270م جماعة نبلاء قشتالة وعلى رأسهم الافانت فيليب حينما ثار على أخيه الفونسو العاشر.

وخلال عبور السلطان أربع مرات إلى الأندلس تمخضت العمليات العسكرية عن نتائج كبيرة، خاصة الخسائر التي تكبدها القشتاليون والنصارى في مناطق وأحوار إشبيلية وشريش، الأمر الذي دفع ملك قشتالة سانشو بن الفونسو العاشر إلى الجنوح نحو السلم فبعث إلى السلطان يعقوب بن عبد الحث وفدا نصرانيا لهذا الغرض تشكل معظمه من الرهبان والقساوسة، نظرا لما هؤلاء من احترام لدى المسلمين.

واستطاع المرينيون أن يحققوا مكاسب كبيرة من هذا اللقاء وقد تمخض هذا اللقاء على البنود التالية:

- التزام الجانب النصراني بعدم الاعتداء على الأراضي الخاضعة للسيطرة الإسلامية، وألا يتدخل في الشؤون الداخلية في كل من غرناطة وفاس.

- المحافظة على حرية الملاحة للسفن الإسلامية.

-ضمان حرية التجارة الإسلامية في البلاد الواقعة تحت السيطرة النصرانية وإعفائها من الضرائب  
والمكوس.

-أن يكون الملك القشتالي تحت إمرة سلطان المغرب.

-ضرورة إعادة القشتاليون الكتب والمخطوطات التي كان النصارى قد غنموها من المسلمين في المعارك  
السابقة.

فلقيت هذه البنود موافقة فورية من الملك القشتالي وتوكيدا لها طلب مقابلة السلطان المريني ليعبر عن  
صدق نواياه في سريانه وتنفيذه، وكان اللقاء في 20 شعبان 684هـ/01 تشرين الأول 1285م بين السلطان المريني  
وسانشو في حصن عين الصخرة على مقربة من وادي لكة وقاما بإقرار وتوكيد شروط الصلح بين الطرفين.

## الدرس العاشر: تاريخ البحرية في بلاد الغرب الإسلامي

عناصر المحاضرة:

تمهيد

البحرية الإسلامية في المغرب الإسلامي

البحرية الإسلامية في الأندلس

البحرية الإسلامية في الغرب الإسلامي

**تمهيد:** يعرف تاريخ البحرية خلال العصور الوسطى، أن الفاتحين المسلمين في شمال إفريقيا واجهوا صعوبات مصدرها نشاط البحريّة البيزنطية، وقد اضطرهم ذلك إلى القيام بنشاطٍ بحريٍ مماثل، فاستقدموا من مصر عددًا من صنّاع السفن الأقباط، وأنشأوا ما أطلق عليه المؤرّخون اسم (دار الصناعة)، وذلك أثناء ولاية حسان بن النعمان من قبل عبد الملك بن مروان، ثم لم يلبث المسلمون أن أسسوا أو جددوا موانئ أخرى على غرار ما فعلوا في تونس، وانتظمت في الشمال الإفريقي سلسلة من المراسي تعجج بالمسافرين وأرباب التجارات والمقاتلة نحوًا من أربعة قرون، أخذت بعدها في التراجع أمام قوى بلدان غرب أوربا، ثم كان ظهور المرابطين وبعدهم الموحدون، إيدانًا بتدارك هذا الضعف واستحالة قوّةٍ يحسب لها حسابها.

هذا وقد أدى الأسطول البحري دورا كبيرا في الفتوحات في الأندلس وحماية الثغور والسواحل الاسلامية في المغرب والاندلس في مختلفه ازمنا الدول الاسلامية التي تعاقبت عليها سواء كانت الاغالبه او الفاطمية ام المرابطية والموحدية ، مما جعلها تدوم لفترة زمنية طويلة وحمتها من الصليبيين المسيحيين في الحوض الغربي للمتوسط، وألحقت هزائم نكراء بالأساطيل المسيحية خاصة الاسبانية والبرتغالية منها.

### أولاً: البحرية الإسلامية في المغرب الإسلامي

**1- البحرية الإسلامية في عهد الأغالبة:** منذ بداية القرن الثالث للهجرة، أيام حكم زيادة الله بن الأغلب في تونس (201-223هـ)، نازل الأسطول الإسلامي صقلية بقيادة أسد بن الفرات، ثم تتابعت الجهود إلى أن فتحت، وظلّت في حوزة المسلمين أزيد من ثلاثة قرون حتى سقطت في قبضة النورمان، ويعتبر فتح صقلية سنة 212هـ من الاحداث البارزة في تاريخ البحرية الإسلامية، إذ ترتب على فتحها على أيدي المسلمين انتقال القيادة في البحر المتوسط الغربي إلى المغرب الإسلامي، إذ أن صقلية هي أكبر جزر البحر المتوسط مساحة واغناها موارد وأفضلها موقعا وكان سبب فتح صقلية هو بسبب تصرفات الروم الذين كانوا يهاجمون سواحل تونس وتسببوا في خسائر مادية وبشرية.

**2- البحرية الإسلامية في عهد الفاطميين:** اهتم الفاطميون بشؤون البحر مثلما فعل الاغالبه أو أكثر، ففي سنة 313هـ غزا أبو أحمد جعفر جنوبي ايطاليا وافتتح مواقع كثيرة من بينها مدينة وارى وغنم غنائم كثيرة ، وفي سنة 315هـ غزا صابر الفتى الصقلي بعض السواحل الايطالية وفي 317هـ غزا التقى صابر في البحر بسبع سفن بيزنطية ففضى عليها ونجح في فتح مدينة ترمولة .

ولقد هاجم الامبراطور قسطنطين السابع وانضم السردغوس حاكم قلورية لوضع حد لأعمال الفاطميين في جنوب ايطاليا، واشتبك مع المسلمين في سنة 340هـ فانهزم البيزنطيون هزيمة نكراء واضطر قسطنطين إلى طلب الهدنة.



وفي سنة 351هـ فتح والي صقلية أبا الحسن أحمد ابن الحسن بن علي الكلي قلعة طبرمين، وأمر المعز الفاطمي بتسميتها المعزية.

### ثانيا: البحرية الإسلامية في الأندلس:

ولعل الدولة الأموية بالأندلس كانت أكثر حاجة إلى الاهتمام بهذا الواقع البحري، وليس ذلك بالنظر إلى تثبيت هيبتها تجاه جيرانها من بلدان الغرب المسيحي فحسب؛ بل كذلك لأغراضها السياسية والحربية تجاه منافساتها من الدول الإسلامية؛ ذلك أن دولة بني أمية في الأندلس كانت تعتبر مسألة مراقبة مضيق جبل طارق أمرا في غاية الأهمية، وهي لذلك بذلت الكثير من أجل إبقاء شواطئ شمال المغرب في نطاق نفوذها، وإن لم تتعنت ضد الدول التي نشأت في المناطق الداخلية المصاحبة لتلك الشواطئ شأن ما فعل العبيديون مثلا، ولم يكن يعني هذا سوى الترحيب بأي حاجزٍ يبقي سيطرتها على مضيق جبل طارق.

و بذلت الجهود لصيانة أمنها وهيبتها في المتوسط، فوجئت عن طريق المحيط الأطلسي بغارات خطيرة من النورمان القادمين من الجزر البريطانية، فوصلت غاراتهم إلى قلب إشبيلية عبر الوادي الكبير، وهي غارات كبدت الأمويين أكثر من خسارة، كما برهنت على مقدرتها الحربية فوق المياه.

هكذا ظلت الدولة الأموية تمثل جانبا من سيادة الإسلام في غرب المتوسط، إلى أن انتهت في مطلع القرن الخامس فأضحت بحريتها تركةً واهنة كالإمارات الصغيرة التي أعقبتها، وهو ما ستنتهي إليه تونس بعد قرنٍ ونصف.

### ثالثا: البحرية الإسلامية في الغرب الإسلامي

**1- البحرية الإسلامية في عهد المرابطين:** هذا النشاط البحري الذي انتهى إلى الفتور -بل كبّد أصحابه المخاطر والخسائر- سينبعث من جديد، وسينتفض على نحوٍ لا يُشبه المرحلة السابقة، سيستأنفه المرابطون فيما دخلت تحت حكمهم من موانئ المغرب الأوسط وفي المغرب والأندلس، وسيكون على باقي الشمال الإفريقي أن ينتظر قرنا ونصف القرن حتى يظهر عبد المؤمن الموحد، ليزيد البحرية المرابطية إنماءً ثم يشرك فيها تونس وليبيا.

عندما انطوى كل من المغرب والأندلس تحت حكم سلاطين المرابطين، كان المجال البحري في جملة ما لا بد من التفكير فيه، والمؤرخون يتحدثون عن يوسف بن تاشفين -يوم ركب السفينة ليعبر إلى الأندلس- وقد ملك التهيب عليه نفسه: إنَّه ابن الصحراء التي تموج رمالاً وليس ذا صلةٍ متينةٍ بالبحر الصاحب الأمواج! غير أنَّه إذا كان للنشأة والمحيط الصحراويين مواضعاتهم، فإن للقيادة والطموح حوافزهما. وقد وجد يوسف -شأن الأمويين من قبل- أنه لا بد من ركوب البحر في سبيل الأندلس، ثم بعد أن دفع في شغونها ازداد إدراكاً لخطورة البحر على تجارتها وحربها؛ فهي من الشرق مكشوفة على البحر، وهي لا تعدم عشرات المدن الغنية العامرة في هذا الشرق المكشوف، وهي عرضة إلى أعداء أكثر، من جنوبيين وبيزنطيين وفرنسيين يتعاونون مع خصومه نصارى شمال إسبانيا، والبلاد -بعد ذلك- مكشوفة من جهة الغرب على المحيط الأطلسي.

إذ حاولنا أن نجد لهذه الانتفاضة وقائع من تاريخ المرابطين، كان علينا أن نتجه نحو الأندلس خلال كفاحهم ضدَّ نصارى الإِسبان، ويتعلق الأمر بالاعتبارات التالية:

- أنه باستثناء قطلونية كان موقع الممالك الإسبانية الأخرى لا يُمكنها من أي قصبَةٍ تنفس على البحر الأبيض المتوسط، وقد بذل النصارى الإسبان جهوداً كبرى للحصول على شيء كهذا.

- أنَّ الإسبان كانوا يستعينون على مبتغاهم بشبَّ الروابط التي تجمعهم بجيرانهم من بلدان الغرب المسيحي، كالطليان والنورمان في صقلية، وكالفرنسيين الذين كانت بعض أجزاء بلادهم تدين بالتبعية لبعض ملوك الإسبان، كما نجد أنَّهم استعانوا على المسلمين ببجارية لا علاقة لهم بالمتوسط.

وهي اعتباراتُ تبين مدى الجهود البحرية التي كان على المرابطين بذلها، فمثلاً في سنة (509هـ/1115م) استولى القطلونيون بمعاونة البروفنسيين والبيزيين على جزيرة ميورقة ليَتَّخذوا منها قاعدةً ثابتةً للوثوب بمدن الساحل الشرقي، غير أنَّ المرابطين سرعان ما أخرجوهم من الجزيرة واستعادوا قاعدتهم الهامة،

ولما كانت الخطط البحرية سبيلاً إلى اغتنام الأراضي، كان امتلاك بعض الأراضي ضرورة لا بُدَّ منها للوصول إلى البحر، وهذا هو الوضع الذي كان قائماً بالنسبة إلى المدن الإسلامية في "الثغر الأعلى" شمال شرق الأندلس.

لذلك فإنَّ الإسبان طالما ركزوا جهودهم للسيطرة على المدن والحصون الواقعة على ضفة نهر الإيبرو، الذي يُعتبر منفذاً ملاحياً هاماً إلى البحر المتوسط، لذلك كانت حروب المرابطين في هذه المنطقة من أفسى حروبهم في الأندلس، خاصة حملاتهم المتبادلة مع ملك أراجون ألفونسو المحارب، ولو أنَّ هذا الملك حالفه النصر في معركة أ فراغة سنة 529هـ لانفتحت أمامه السبل إلى شواطئ المتوسط، ولخسر المرابطون شيئاً كثيراً في مجاهم البحري.

لم يكن نشاط المرابطين قاصراً على شواطئ المتوسط، بل شمل شواطئهم على المحيط الأطلسي، باعتبار امتداد السواحل الغربية لمملكته؛ فقد كان مجرى الوادي الكبير -الذي يقطع أشبيلية- طريقاً ملاحياً يربط هذه المدينة بسبتة وطنجة عبر قادس، كما يربطها بالموانئ المجاورة كلشبونة وقلمرية من شواطئ البرتغال، وكان بهذه الشواطئ أسطول عامل.

ويذكر التاريخ أن المرابطين باغتوا به اشتوريش وجليقية خلال العشرة الثانية من (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)، وكان معظم من يُشارك في معارك هذه الجهة -من غير الإسبان والمرابطين- بحارة الإنجليز والألمان والأراضي المنخفضة، وتصدر الإشارة إلى أنّ هذا الممر عرف نشاطاً متزايداً خلال حكم المرابطين؛ لأنّه كان طريق هؤلاء البحارة للمشاركة في الحروب الصليبية وأحياناً لأعمال القرصنة، وهم لذلك كانوا يعرجون على الموانئ الإسلامية أو الإسبانية قصد المشاركة في الفتح أو للتزوّد بحاجتهم من المؤن، وبفضل هؤلاء استطاع المسيحيون الإسبان أن يستولوا على أشبونة خلال الفتنة التي نشبت في الأندلس غداة انهيار دولة المرابطين سنة 541هـ.

وقد بدا خلال انهيار دولة المرابطين أن الحوادث قد نالت من متانة قوتهم البحرية؛ فقد سقطت أمرية في قبضة الأسطول النصراني سنة 541هـ، كما اقتحم القطلونيون والجنوبيون طرطوشة سنة 542هـ، مع ما رافق ذلك من سقوط أشبونة كما سبق، والواقع أنّ المرابطين كانوا يمثّلون قوة بحرية فتيّة، وقد ظلّت قوّتهم تلك مرهوبة الجانب خلال فترة عظمة دولتهم.

وعندما عملت فيهم ثورة ابن تومرت عملها، مع ما رافق ذلك من فتنة في بلاد الأندلس، بدا وكأنّ أهمية بحريّتهم أخذت في النقصان، وهو أمر طبيعي نتيجة قلّة الإمداد والتحسينات، ولكنّ الأمر لم يطل كثيراً؛ فسرعان ما استتبنت الأمور السياسية من جديد، وتابع الموحدون نشاطهم البحري من حيث انتهى أسلافهم.

**2- البحرية الإسلامية في عهد الدولة الموحدية:** وأول ما يلاحظ بصدد الجهود البحرية لدولة عبد المؤمن بن علي، أمران: اتّساع رقعتها تبعاً لاتساع مملكته، وتزويدها طبقاً لأنظمة أكثر دقة. لقد بلغ ملكه من الاتساع حدّاً لم يبلغه المرابطون قبل؛ إذ أضاف إليه ما كان بيد دولة بني حماد في جزائر بني مزغنة سنة 543هـ، ثم ما كان بيد فلول دولة بني مناد الصنهاجية (بني زيري) في تونس، ثم ما توج ذلك بمعركته البحرية الكبيرة لطرد نورمان صقلية من شواطئ تونس، وقد كان لاتساع ملكه على هذا النحو أن استطاع أن يوفّر لبحريته موارد عظيمة، سواءً من حيث الصرف عليها أو من حيث تزويدها بالعناصر البشريّة المجرية.

لقد قام بتنظيم مملكته إدارياً وماليّاً، وكان في جملة ما فرض على الأقاليم من واجبات، تقديم عددٍ معينٍ من الرجال لأداء الخدمة البحرية، ومع ذلك فقد كان يحرص على إعداد رجال بحريّته بما لا يقل عن سواهم من إدارات الدولة؛ ففي معاهدة التعليمية بمراكش كانت فنون السباحة والقتال والحصار البحري وإدارة السفن موادّاً لها

حيث يُمارس الطلبة (الحفاظ) مختلف تمارينهم قبل أن يأخذوها، على نطاق أوسع في المراسي المغربية.

وكانت الغابات المنتشرة في الشمال الإفريقي والأندلس مصدرًا للأخشاب اللازمة لبناء السفن، وكانت ألمرية والجزيرة وسبتة وطنجة وسلا والجزائر وتونس دُورًا للصناعة تعجُّ بالعرفاء ومهندسي السفن المتفاوتة الأحجام.

ويذكر المؤرخون أنه في سنة 557هـ (أي قبل وفاته بعام واحد) أمر بالإكثار من إنتاج السفن، فأوجدوا له سبعمائة قطعة، أُضيف إلى القطع التي سبق أن استعملها في طرد النورمان من المهديّة بتونس قبل ثلاث سنوات، أدركنا مدى النمو الذي بلغته القوّة البحرية في الغرب الإسلامي أيّام عبد المؤمن.

لقد قيل: إن هذا الملك كان يعترم اقتحام بلاد الروم حينما أوصى بالزيادة في عدد وعدّة الأسطول، وقد نشكُّ في أن هذا الأمر كان جدًّا لا يشوبه روح من المناورة، ولكن من المؤكّد كان استجابةً لواقعٍ بحريٍّ خطير: وهو أنّ بحرية الغرب المسيحي أخذت تتكثّر ضد بلاد الإسلام على نحوٍ أكثر من ذي قبل، وناهيك بأطراف هذا العدو مجتمعة في مدن الجمهوريات الإيطالية ونورمان صقلية والإسبان الشماليين وأتباعهم في جنوب شرق فرنسا، ويقطع النظر عن هذه القوات المسيحية كان هناك جانب لا يُمكن إغفال خطره، ومثّله بقايا المرابطين في ميورقة برئاسة بني غانية.

وليس من الصدف أن تعرف البحرية هذا الازدهار في عصر عبد المؤمن بن علي؛ ذلك أنّه لم يكن أقلّ تعلّقًا بالعلوم ولا أقلّ رغبةً في استغلالها للفائدة العمليّة، سواءً في مجالات السلم أو ميادين الحروب، فالأمر الذي أصدره "بتكسير" أراضى ملكه العريض سنة 555هـ يفترض معلومات جغرافية ورياضية دقيقة، كما أنّ أساليبه في كثير من المواقع الحربية تُوحى باهتمامٍ بالغٍ بشؤون الهندسة وتطبيقاتها في شئون الحروب، وهي معلومات لا يستغني عنها أمراء البحر أو قواد الأساطيل، أضف على ذلك ما يلزم لهذه الخدمة من علومٍ أخرى كالميقات ورسم الخرائط وآلات القياس، وهي علومٌ كانت ثقافة المسلمين في الأندلس وشمال إفريقيا قد تشبعت بها كثيرًا.

وإذا كانت للملاحة في كل إقليم اعتباراتها الخاصة -وهو ما ينعكس على طريقة ممارستها- فالمعتقد أن البحرية المغربية إلى عهد عبد المؤمن كانت متأثرةً بالأساليب العلمية لمعاهد الأندلس وإفريقيا، وهي أساليب ذات أصولٍ شرقيةٍ عربية، خصوصًا منها ما يُلائم البحر المتوسط، ولعل هذا توكّده دهشة الربان البرتغالي (فاسكو دي جاما) في (القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي)، من اختلاف أساليبه -وهي في مجملها ميراث أندلسي عربي- عمّا وجده عند بحارة المحيط الهندي.

لقد قام عبد المؤمن منذ 546هـ بعمليات عسكرية بحرية وبرية انتهت بتوحيد لأول مرة في تاريخ المغرب منذ ان فتحه العرب، فبدأ بضم وطنه الاصلي في المغرب الاوسط ثم تونس ثم طرد النورمانديين من المهديّة، كما استولى على طرابلس وبذلك تم توحيد المغرب ولقد شارك الاسطول الموحدى في تلك العمليات البحرية السابقة الذكر.\*\*كما شارك في معظم العمليات التي دارت ضد القوى المسيحية في اسبانيا في عهد الخليفة يوسف حيث نشبت عدة مواقع بحرية بين الموحدين والقطلانيين على مقربة من برشلونة، وتفوق الأسطول الموحدى في اغلبها علما أن معظم المعارك تركزت في غرب الأندلس.

## الدرس الثاني عشر: العلاقات الدبلوماسية

### - نماذج السفارات -

عناصر الدرس:

تمهيد

أهداف السفارات:

أهداف السفارات

## تمهيد:

تناولت الدراسات التاريخية العديد من السفارات الأولى في تاريخ الإسلام بصفة عامة، بداية من سفارة الرسول صلى، ثم سفارات الخلفاء الراشدين، والعصر الأموي والعصر العباسي، وتعددت أهداف السفارات، أهمها العمل على تفعيل التعامل مع الطرف الاخر بدبلوماسية معينة.

وموضوع دراستنا في هذه المحاضرة هو كل ما يخص الدولة الأموية في الأندلس، نظرا لوصولها لأعلى مراحل النضج في التعامل مع الممالك المسيحية المجاورة لها، مما حول للدولة الاموية في الأندلس الكثير من الامتيازات الحضارية والسياسية في تلك الفترة أي ما بين القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر ميلادي<sup>1</sup>.

**مفهوم السفارة:** تشير الدراسات الحديثة أن أصل كلمة الدبلوماسية **DIPLOMACY** هي كلمة يونانية **DIPLEUM** التي تعني: " يطوي"<sup>2</sup> وهناك من ربطها بالامبراطورية الرومانية " ديلوما" **DIPLOMA** على وثيقة السفر المعدنية المطوية والمختومة، وبعد مرور الزمن تطورت وأصبح مفهومها و أصبحت تشمل المعاهدات، والاتفاقيات وحق الوثائق الرسمية<sup>3</sup>.

أما الدبلوماسية الرسمية بين الدولة الأموية والشمال الإسباني برزت في عصر المستنصر(366/350هـ/916-976م)<sup>4</sup>، ولذلك وضع مفهوم الدبلوماسية والسفارة بشكل أوضح، وهي عملية إدارة وتنظيم العلاقات الدولية عن طريق المفاوضة، وهي طريقة تسوية وتنظيم هذه العلاقة بواسطة السفراء والمبعوثين، كما أنها المهمة الملقة على عاتق الدبلوماسي<sup>5</sup>.

1 - إبراهيم محمد ال مصطفي، سفارات الأندلس إلى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية (138 - 422 هـ / 755 - 1031)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2013، ص3 وما بعدها.

2 - الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة، بيروت، 1987، ص783.

3 - سهيل حسين ، تطور الدبلوماسية عند العرب، دار القادسية، بغداد، 1960، ص03.

4 - عبد الرحمان علي الحججي، أندلسيات، دار الرشاد، ط1، بيروت، 1996، ص44.

5 - محمد فاضل زكي، الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، ط1، المعارف للنشر، بغداد، 1968، ص8.

أما فيما يتعلق بالسفارة من الناحية اللغوية فهي من " سفر بين القوم يسفر بكر الفاء" (سفارة)، أي أصلح وفي هذا السياق تعني السفارة بالصلح وذلك على حسب العلاقة بين الطرفين<sup>1</sup>.

من خلال ما ذكر عن السفارة يمكن تحديد مفهومها بأنها: " العمل الذي يقوم به السفير من وفاق، أو إصلاح بين الطرفين بعد معرفته أسباب الخلاف الناشئ، ويمكن أن تكون السفارة هي السكان الذي يقيم فيه السفير، وبالتالي يمكن القول بأن السفارة لها ارتباط وثيق بالدبلوماسية، من خلال كون السفارة جزءاً لا يتجزأ من العمل الدبلوماسي.

### أهداف السفارات:

أول هدف يتبادر إلى الذهن عن السفارات هو ذلك النزاع وعقد الصلح بين الأطراف المتنازعة، كما تسعى السفارة الى اظهار الحقيقة للأطراف المرسله لجهة معينة، والغاية هي تصحيح فهم وانطباع المرسل اليه، كما تهدف السفارة غالبا لمارب تجارية لدولة ما أو الشخص الذي مثل السفارة<sup>2</sup>.

لقد كانت العلاقات الدبلوماسية مزدهرة في العصر الأموي، وكانت السفارات مكتظة على الدولة الإسلامية ذهابا وإيابا، أشهرها السفارة التي انطلقت إلى الصين سنة 98هـ/716م، في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، (96-99هـ/714-719م)، كما تهدف هذه السفارة إلى تقديم الهدايا إلى الصين، كالعباءات المطرزة بخيوط الذهب وكمية من العقيق وغيرها<sup>3</sup>.

فضلا عما ذكرناه حول أهداف السفارات، هناك هدف جد مهم ألا وهو أجد الجزية من البلاد الغير مسلمة<sup>4</sup>.

كان عقد التحالف من بين أبرز الأهداف التي اشتغلت عليها الخلافة العباسية، ولكن أول من بادر في الارسال هو شارل مان الذي بعث سفارة إلى هارون الرشيد، كان الهدف المعلن من تلك السفارة هو عقد

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ت، ص 374.

2 - الفتاوي، المصدر السابق، ص ص 37 - 38.

3 - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، ص ص 456 - 457.

4 - إبراهيم أحمد العدوي، السفارات الإسلامية في أوروبا عبر العصور الوسطى، دار المعارف، اقرأ، القاهرة، 1957، ص 94 للمزيد راجع، عبد القادر احمد يوسف، العصور الوسطى الاوربية ، دراسات تاريخية، بيروت، 1967، ص 103.



التحالف مع الدولة الافرنجية بقيادة شارلمان والدولة العباسية بزعامة هارون الرشيد، وكانت الغاية من هذه السفارة هو الإطاحة بالامارة الاموية في الأندلس<sup>1</sup>.

ومن بين السفارات المعلنة تجاريا هي السفارات التي وصلت الى الاندلس وتحديدًا على قرطبة سنة 328هـ/942م من حكم برشلونة، حيث تم توقيع اتفاق بين كاتب الخلافة في قرطبة المدعو "حمادي بن إسحاق" و "سنسبير بن غيفريد" صاحب برشلونة<sup>2</sup>.

ومن بين الأهداف الأخرى للسفارات ما يعرف بالاهداف العلمية والثقافية لتلك السفارات، حيث وردت على الأندلس المسلمة ثلاثة بعثات اوربية، الأولى كانت فرنسية برئاسة الاميرة "دوبان" ابنة صاحب مقاطعة "ويلز" والثانية "الأمير جورج" والثالثة اسبانية وبعضها من مقاطع "ساكسونيا" و "الصين"، وقد أرسلت تلك البعثات في 213هـ/1293م، كانت أهداف تلك البعثات علمية لدراسة العلوم والفنون والصناعات وذلك بالنظر لتزايد تطور الاندلس في مختلف المجالات<sup>3</sup>.

يبدو لنا من خلال ما درسناه سابقا أن تلك السفارات قد تكون لها اهداف واغراض تتمثل في مراقبة الطرف الاخر ومعرفة كل مايتعلق به من مواطن الضعف والقوة في المراكز القيادية من دون ان يشعر بالهدف الخفي والمتمثل بالتجسس وهذا ما أكده المؤرخ العدوي في كتبه " السفارات الإسلامية الى أوروبا في العصور الوسطى".

بالإضافة الى عملية النجدة التي تطلبها المقاطعات النصرانية المجاورة للاندلس، بحيث طلب الملك المساعدة من الخليفة عبد الرحمان الناصر(300-350هـ/912-961م)، واما تردد إلى "سانشو" ملك ليون المخلوع والذي أستجيب له بسرعة لعدة اعتبارات لها وهي التقدم الى الحدود الشمالية الاسبانية وتصدي هجمات الافرنج والعمليات الغير منظمة من طرف المرتزقة.

### الدبلوماسية لعصر الإمارة الأموية في الاندلس (138-316هـ/755-928م)

**السفارات والتمثيل الدبلوماسي:** تقودنا الدراسة التي تتبع البدايات لتمثيل الدبلوماسي للإمارة الاموية في عهد عبد الرحمان الداخل بعدما ان انتدب لمولاه " بدر"، وهي تعتبر الانطلاقة الأولى للعمل الدبلوماسي المثمر في

1 - إبراهيم أحمد العدوي، السفارات الإسلامية في اوربا عبر العصور الوسطى، دار المعارف، اقرأ، القاهرة، 1957، ص94 للمزيد راجع: عبد القادر احمد يوسف، العصور الوسطى الاوربية، دراسات تاريخية، بيروت 1967 ص 103.

2 - إبراهيم محمد ال مصطفي، المرجع السابق، ص 54.

3 - الخربوطلي، العرب في أوروبا، المكتبة الثقافية، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1960، ص 116.

التأسيس الامارة الأموية في الاندلس بقيادة عبد الرحمان الداخل وليبدأ، بعد عصر جديد عرف بعصر الإمارة (138-316هـ/755-928م)<sup>1</sup>.

اتبع عبد الرحمان الداخل سياسة المهادة مع الدول المسيحية نظرا لثورات الانفصالية التي عرفها في عصره لذلك كتف سفاراته الى اسبانيا الشمالية سنة 142هـ/759م).

كما تجدر الإشارة على ارسال مبعوثين من الأندلس الى الإمبراطور في فرنسا بيبين (Pipine)، حيث استقبل في اكوتين (acuatine) مدينة جنوب فرنسا في سنة (768/151هـ)، وفد السراسين في اسبانيا الذين قدموا عبر مرسيليا<sup>2</sup>.

في أيام هشام الأول (172-180هـ/788-796م)، ابن عبد الرحمان الداخل لم يكن هناك تمثيل دبلوماسي وعلاقات ودية ذات أهمية، في حين ذكرت الدراسات الفرنسية على رأسها هنري بير أن هناك بعثات دبلوماسية في عهد حكم بن هشام (180-206هـ/822-852م)، الى مدينة كومبين (compigne) التي كان يقيم فيها الامبراطور، ناهيك عن الأعمال التي كان يمارسها الأمير عبد الرحمان حيث توجه الى المدينة اكس لاشييل، اما في زمن عبد الرحمان الأوسط (206-238هـ/822-852م)، فقد ساد الاستقرار في الاندلس، التي وصلت الى درجة عالية من القوة والنفوذ مما انعكس على الجانب الدبلوماسي ومنه السفارات<sup>3</sup>، اذ غدت الاندلس مقصدا لتلك السفارات ومنها سفارة الموجهة الى ملك النورمان من اجل السلم والمهادنة وكذلك السفارة التي وصلت الى قرطبة من ملك الفرنجة.

أما في زمن الأمير محمد الأول (238-273/852-886م)، هو ابن عبد الرحمان الأوسط فقد ظهرت السفارة الموجهة من هذا الأمير إلى "أذخونش"<sup>4</sup>، الملك النصراني، وكان الهدف منها هو إطلاق صراح وزيره الهاشم بن عبد العزيز، ولكن باءت بالفشل، بسبب ضعف قوة الأمير ورغبة بسط الملك النصراني نفوذه على العلاقات الخارجية بالدرجة الأولى.

1 - نفسه.

للمزيد من المعلومات حول عبد الرحمان الداخل راجع المحور الأول من المطبوعة، ص5.

2 - عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 199، أنظر أيضا عبد الرحمان علي حجي، المرجع السابق، ص 63.

3 - شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص178.

4 - ألفونس

أما الأمير عبد الله فقد اشتغل بالفتنة التي أصابت الأندلس، ومحاوله القضاء عليها بالغزوات والثورات المستمرة، ولذلك فلم تذكر اية سفارة في عصرهم<sup>1</sup>.

**سفارة يحيى بن الحكم الغزال إلى ملك النورمان:** كانت سفارة يحيى بن الحكم الغزال إلى ملك بسبب حدث شغل قرطبة، حينها و هو هجوم النورمان، وكان الهجوم قد حدث في أيام الأمير عبد الرحمان الأوسط، وأصابهم الكثير من الهلع والخوف، وفروا أهلها من اشبيليا الى مدينة قرمونة، حاول جيش قرطبة الدفاع ضد الهجوم<sup>2</sup>.

ولم تكن هجمات النورمان موجهة ضد الاندلس فقط بل شملت العديد من الأراضي الاوربية مثل إنجلترا، أراضي الدولة الكارولنجية، وكان الامبراطور شارلمان مهتما بإقامة علاقات حسنة مع قادتهم، وكانت خطتهم في الهجوم تركز في الاستلاء على الموانئ أو الأنهار الصالحة للملاحة<sup>3</sup>.

**حياة الغزال في قرطبة:** هو أبو زكريا يحيى الحكم البكري الحياتي، نسبة الى مدينة حيان الواقعة شرق قرطبة، وتقع بين غرناطة وطليطلية، كان كثير القول ولقب بالغزال لجماله، كما اتصف بصفة خفة الروح فضلا عن الحكمة، وتمكنه في الشعر نظرا لثقافته الواسعة<sup>4</sup>.

عاصر يحيى بن الحكم الغزال عددا كبيرا من الأمراء الأمويين في الاندلس، إذ بلغ عددهم خمسة أولهم عبد الرحمان الداخل، واخرهم محمد بن عبد الرحمان.

وإذا درس شعر يحيى بن الحكم الغزال فقد يرى القارئ بكل وضوح صفة شخصيته فقد عرف بحسن التحليل والبيان، لقد كان من أهم الأحداث التي تؤثر بها الشاعر، هو قدوم المغني زرياب إلى عبد الرحمان الأوسط إلى قرطبة، حيث قال ابن خلدون في هذا الشأن: " في سنة (206هـ/821م) قدم من العراق إلى الأندلس المغني الملقب زرياب، مولى المهدي العباسي واسمه الحقيقي علي بن نافع".

**سفارة الغزال:** وصلت سفارة "الألمان" قرطبة، في عهد عبد الرحمان الأوسط تطلب منهم الصلح، وكان الهدف وراء ذلك هو ايقاعهم، وأمر الأمير الحكم بن الغزال التصرف معهم نظرا لحنكته وأسلوبه المتميز في التعامل

1 - عبد الله عنان، دولة الإسلام، ص 310-346.

2 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، دار العالمين، بيروت، 2002، ص195.

3 - عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 262.

4 - العدوي، المرجع السابق، ص 113.

مع الغير، ثم سافر الغزال الى بلاط الملك وأحسن كلامه وتمثيله الدبلوماسي مع الماجوس، ورضا عنه الملك وبعدها عاد إلى قرطبة بعد أن نجى من أهوال البحر في الجزيرة، وقد حصل من رحلته على معلومات عن الشعوب الشمالية و أخوالها العامة وكان ملك النورمان قد أرسل معه كتابا إلى صاحب سنت ياقو راميرو الأول، لتسهيل الطريق للمرور عبر أراضيهم وبالفعل تم ذلك وتوجه أعضاء السفارة إلى قشتالة، ثم طليطلة، ثم مدينة قرطبة<sup>1</sup>.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول أن هناك علاقات دبلوماسية بين بلاد النورمان ومدينة "سنت ياقب" وهذا يمنحنا صورة عما تتمتع به هذه المدينة من شبه استقلال، وقد نجحت سفارة يحي بن الحكم الغزال في المنظر القريب وفشلت في المنظر البعيد، ففي البداية حققت السلام مع النورمان في أيام ملكهم هيوريك وكما فشلت أيضا من عدم معاودة الماجوس الهجوم على الأندلس بعد وفاة ملكهم والهجوم الثاني كان سنة (245هـ/859م)<sup>2</sup>.

1 - الحميري، المصدر السابق، ص 323.

2 - ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب و الأندلس، دار النهضة، مصر، القاهرة، د ت، ص 104.

## الدرس الثالث عشر: العلاقات العلمية تنقل الطلبة والكتب

دور الرحلات العلمية

جغرافية المغرب والأندلس

## جغرافية المغرب:

لقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في إعطاء تسمية أو مصطلح موحد لهذا الإقليم فأطلقوا عدة تسميات على هذا الجزء من الأرض مثل نوميديا وليبيا وشمال افريقيا وقرطاجنة وإفريقية وبلاد البربر، فالمغرب عبارة عن جزيرة جبلية شاسعة تمتد من الشرق إلى المغرب يحيط بها البحر المتوسط شمالا والمحيط الأطلسي غربا أما في الجنوب فهناك سلسلة جبال الأطلس التي تمتد من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى، كما تشمل بلاد المغرب والأندلس وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردينية وكورسيكا وجزر البليار وقد اعتبر المؤرخين مصر جزءا من بلاد المغرب<sup>1</sup>.

ولقد اصطلح على تقسيم المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة هي:

- 1- المغرب الأدنى: ويسمى أيضا إفريقية ويشمل تونس وبعض الأجزاء الشرقية للجزائر.
- 2- المغرب الأوسط: ويمتد من بجاية حتى واد ملوية وجبال تازة غربا وقاعدته تلمسان.
- 3- المغرب الأقصى: وعاصمته المغرب الأقصى وترددت بين مدينة فاس ومراكش فالأداسة العلويين أسسوا مدينة فاس سنة 191هـ واتخذوها عاصمة لحكمهم<sup>2</sup>.

## الرحلة الثقافية المتبادلة بين القطرين وأهم علمائهم

الرحلة المتبادلة بين القطرين: كان التجوال في سبيل الدراسة والعلوم أمرا شائعا بين طلاب العلم في المغرب مثلما كان شائعا في المشرق في العصور الوسطى فقد كان الحرص على لقاء الشيوخ و الأساتذة المشهورين هو الغرض الأول في الرحلة في طلب العلم وتحتل فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه أهمية كبرى

<sup>1</sup> - أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، ص12.  
<sup>2</sup> - عصام الدين عبد الرؤوف الفتي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص12.

في التعليم في تلك الفترة فلم يكن يكتفي الطالب بقراءة مصنفات الأساتذة وحدها إنما كان لا بد أن يقرأها أو يسمعها منه حتى ضروب التحقيق العلمي<sup>1</sup>.

ويذكر ابن خلدون أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشايخ تزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقائيا مباشرة إلا ان حصول الملكات (الفضائل) عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوما فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا تعليم والعلوم مخلطة على المتعلم حتى يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء أصل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات لما يراه الاختلاف الطرق فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها الانحاء تعليم وطرق وتوصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكية بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية.

فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ مباشرة الرجال، والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم<sup>2</sup>.

ونجد هنا بأن حكام المغرب الأوسط لم يضعوا مانعا أمام حركة العلماء بالإقامة في ربوع دولتهم والتمتع بكل المميزات التي يتمتع بها أقرانهم من أهل العلم في المغرب وقد شغل هؤلاء الوافدين مناصب كبرى في الدولة وقد شملت الرحلة في طلب العلم داخل بلاد المغرب معظم الدول المغربية وعلى رأسها تيهرت، فاس، سجلماسة، وحتى الاندلس<sup>3</sup>.

سعى الأئمة الرستميين على أن لا تكون دولتهم مختلفة ولا سيما في الميدان الثقافي فأخذ تلاميذ العلم وأرسل بعثات إلى المشرق فيرجعون مزودين بالعلوم وأنفس الكتب العربية والفارسية، وكانت العائلة الرستمية تعرف اللغة الفارسية وتحافظ عليها، إنها لغة أجدادهم ولغة العلم والحضارة القديمة وكان لهم مترجمون يحسنون اللغة الفارسية ويترجمون المتب واخرون يترجمون الكتب الرومانية.

1 - محمد عادل عبد العزيز، (التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص30.

2 - ابن خلدون، (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ص745.

3 - محمد عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص31.

كما اهتم الائمة بتحقيق السكان أعالي الجبال في الدين والشريعة الإسلامية العربية تارة والبربرية تارة أخرى إذ اقتض الأمر على ذلك<sup>1</sup>.

**أهم العلماء:** لقد اشتملت العلاقات الثقافية والحضارية رحيل الكثير من العلماء إلى الأندلس ونخص بالذكر مايلي:

- بكر بن حماد 200-296هـ/816-908م: هو من أشهر كبار علماء الجزائر وادابها في هذا العصر ولد ونشأ بتيهت فأخذ العلم والأدب عن علماء بلده، فارتحل إليه الكثير من أهل الأندلس للأخذ عنه والتخرج على يده وكان منهم قاسم بن أصبغ البياني ولقد وقعت له مع هذا قصة حوار أدبي دار بين الشيخ وقد رحل إلى الأندلس وجلس للتدريس في قرطبة واشتهر بدروسه في التفسير والحديث قال عنه ابن الفرضي " حدث عن أبيه وكتب عنه غير واحد من شعر أبيه ومن حديثه"<sup>2</sup>.
- قاسم بن عبد الرحمان بن محمد التميمي التهرتي وابنه المداني الفضل احمد المعروف بالبراز: خلال الأندلس سنة 317هـ وكان البراز صغير السن وتعلم بقرطبة حيث أن أباه من جلساء بكر بن حماد ومن أخذ عنهم وأقام في عاصمة الأندلس توفي البراز سنة 396هـ<sup>3</sup>.
- إبراهيم عبد الرحمان التنسي: كان مفتيا في جامع الزهراء كان عالما بالفقه المالكي ولد ونشأ في تنس ثم رحل إلى الأندلس واستقر بمدينة الزهراء وأخذ عن مشاهيرها وعلمائها.
- قاسم بن موسى الضبي: (390هـ/1000م): عالم بالحديث من فقهاء المالكية ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر ثم رحل إلى الأندلس وجلس للتدريس في قرطبة وروي عنه بعض علماء الأندلس وأثنوا عليه<sup>4</sup>.
- زكرياء بن بكر بن أحمد الغساني: وهو عالم فاضل محدث، رحل وأسرته إلى الأندلس سنة 326هـ فأخذ عن بعض علمائها ومنها رحل إلى المشرق فلقى بمصر أبي الطيب المتنبي وأخذ عنه ديوان شعره ثم عاد على قرطبة حيث توفي، قال ابن الفرضي كان حليما ظاهرا وأجاز لنا جميع ما رواه<sup>5</sup>.
- ابن الرمامة(478/567هـ): ولد بعاصمة الجزائر الحمادية "قلعة بني حماد" روي عن أبي الفضل بن النحوي بالقلعة وثقته به وعن أبي محمد المقرئ ببجاية وأبي إسحاق إبراهيم بن حماد وارتحل على الأندلس طالبا للعلم

1 - نفسه، ص33.

2 - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص241-242.

3 - أحمد بن سعيد عبد الواحد الشماخي، السير، تح: أحمد بن سعود، ص130.

4 - ابن حميرة الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص2004.

5 - عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان الإسلامية، ط2، ص13.



وتاجرا ولقب بقرطبة بالفيلسوف الحكيم القاضي أبا الوليد ولابن رشد وأبا محمد بن عتاب وأبا بحر الاسدي أخذ عنهم ومن التأليف وكتاب التبيين في الشرح والتلقين<sup>1</sup>.

### أثر التواصل الثقافي بين الأندلس والمغرب

**الأثر المذهبي والفكري:** لقد سعت كل من المغرب والاندلس على تمتين العلاقات سواء على الصعيد الاقتصادي أو السياسي، أو المذهبي وكان لابد لهذه العلاقات أن تترك بصمة أو أثر حيث (تمثل التأثير المذهبي) لما أراد الناس مبايعة عبد الوهاب تقدم مسعود لبيايه فعارضه ابن فندين وأصحابه بالقول فقالوا نبايعه على شرط ان يقضي أمرا دون مبايعة فقال لهم مسعود لا نعلم في الامام شرطا غير أن يحكم فينا بكتاب الله وسنة نبيه رسول الله صلى فترك ابن فندين وأصحابه الشرط فتقدم مسعود عبد الوهاب وبايعه الناس بعد ذلك بيعة عامة وحملوه إلى دار الإمارة ولم يختلف عن بيعته أحد ولم يتقدم عليه أحد في حكمه ولا في اموره حتى فندين وأصحابه<sup>2</sup>.

وهذا يدل على فقه وعظمة مسعود الاندلسي وعلى براعته وفي نفس الوقت على العلاقة المبنية التي كانت تجمع العدوتين.

ونتيجة لهذا الدور الثقافي الذي اضطلع به الرستميون ظهرت مؤثرات إباضية في بلاد الأندلس إذ أنه من الطبيعي أن تترك هذه العلاقة القوية اثارها وهذا ما أكده الحميدي على ظهور مؤثرات إباضية في بلاد الأندلس لأنه مثل هذه العلاقة لا بد أن تترك اثارها على الشعب الأندلسي<sup>3</sup>.

وبالرغم من تعدد المذاهب وحلقات المناظرة والجدل إلا أنه نجم عن ذلك نشاط واسع في حركة التأليف خاصة كتب المذهب ومنها قد ارتبطت الحركة الفكرية في تاهرت ارتباطا قويا بالفكر الخارجي لا سيما في البصرة وكانت تاهرت وثيقة الصلة ثقافيا مع مدن إسلامية أخرى مثل القيروان وقرطبة ونظرا لما أقدم عليه الأفلح بن عبد الوهاب من ازدهار ثقافي فأصبحت تاهرت مركزا ثقافيا مهما كغيره من المراكز الثقافية الإسلامية وقد شاركت المرأة الرستمية في هذه النهضة<sup>4</sup>.

وقد تميز عصر المنصور والذي كان اثره بالغ في نزوح جماعات غفيرة من الأندلس على الجزائر وهؤلاء ممن امتازوا بثقافتهم وبراعتهم في الصناعة والزراعة فنهضوا بالعلوم والفنون والاداب بالمغرب كما عملوا على

1 - عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص400.  
2 - الدرجيني، طبقات مشايخ المغرب، ج1، ص27.  
3 - محمد عيسى حريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، 160هـ - 296هـ، ط3، الكويت، 1987، ص220.  
4 - عبد الحميد حسين، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي والفتح الإسلامي، ط1، القاهرة، 2007، ص345.

ازدهار الثورة في ربوع البلاد من الاثار التي شهدت الأندلس خلال القرنين 2-4هـ، ظهور مصنفات في عهد الناصر عدة من أعلام المؤرخين الذين وضعوا أسس الرواية الأندلسية أولهم أحمد بن محمد بن موسى الرازي ومن تصنفاته أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم وكتاب "الاستيعاب في أنساب أهل الأندلس"، وفي كتاب "صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان"، وقد كانت رواية الرازي مستقر خصبا لمؤرخي الأندلس وفي مقدمتهم عميدهم ابن حيان<sup>1</sup>.

**أثر الرحلة:** عكست الرحلة في طلب العلم على التربية الإسلامية في المغرب اثار طيبة كثيرة وكانت منبعاً بالخير والنشاط الدائم وسبيلاً إلى تحقيق التبادل الثقافي والتعاون الفكري بين المراكز الثقافية في ربوع المغرب وغيره من مراكز الثقافة في العالم الإسلامي في توطيد العلاقات مع المغرب الإسلامي<sup>2</sup>.

الأثر الاقتصادي

أما بالنسبة للمستوى الاقتصادي فقد كانت الصلات متينة حسنة بين الدولتين الرستمية والاموية في الأندلس فتاهرت مثلت مركزاً تجارياً هاماً فقدّم إليها تجار من بينهم تجار افريقية وافرغوا علومهم الى جانب سلعمهم.

وكما أشرنا أن الدولة الرستمية كانت جسر الذي يضمن استمرار التدفق الاموي في الأندلس الى المشرق ومنه الثقافي الذي حرص أمراء بني أمية على استغلال هذا الجسر من التواصل الحضاري مع المشرق فلا نستبعد أن تكون الحركة التجارية النشطة التي عرفتها تيهرت خاصة والدولة الرستمية عامة، وقد اكسبها حركة فكرية بنفس مستوى النشاط الحيوي التي عرفتها التجارة<sup>3</sup>.

فلا شك أن موانئ المغرب فضلاً عن العاصمة تيهرت كانت معايرهم وهنا أصبحت تجارة الكتب من أروج التجارات، فكثير الوراقون الذين يشغلون بيع الكتب ونسخها<sup>4</sup>.

وكان الاباضية دور كبير في إنعاش التجارة في المغرب الأوسط وبلاد الصحراء فقد ضمت جماعة الإباضية كثير من تجار الذين وجدوا الأمن في ظل الأئمة ولهذا تحولت تاهرت إلى مركز نشيط خلال القرن

1 - محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية في عهد المغرب، ط1، 2008، ص126.  
2 - محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص34.  
3 - إبراهيم بحاز كبير، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط1، 1985، ص386.  
4 - سوزي حمودي، الأندلس في العصر، ص67.  
منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمان الثالث الناصر لدين الله، ط1، لبنان، 1430، 2009، ص87.

الثالث هجري التاسع ميلادي فكانت قوافل التجار تدخل من تاهرت وتتجه جنوبا حتى تصل إلى واحة الأغواط في جنوب الجزائر حاليا<sup>1</sup>.

**الأثر السياسي:** لقد نجح البربر المهاجرين إلى الأندلس في اقحام أنفسهم في مجال السياسة وحكموا مدن من مدن الأندلس الطوائف واندمجوا في المجتمع الأندلسي بوسائل شتى فلما اشتدت وطأة الصليبيين على ملوك الطوائف المتاحة للصاخطين على ملوك الطوائف والمتوجين خوفا على مستقبل الأندلس. وكانت الدولة الرستمية مخلصنة في علاقتها مع الدولة الأموية فبالرغم من أنها منحت بعض مواطني الدولة التي ترتبط معها سياسيا ومذهبيا حق اللجوء السياسي بكل ألوانه إلا أنها استثنت من هذا الحق الخارجين على صديقتها الدولة الأموية<sup>2</sup>.

**دواعي الرحلة العلمية أنواعها وأهميتها:** حب السفر والشغف بمعرفة العالم وما فيه من عجائب الموجودات وغرائب الكائنات، هواية استهوت عددا من العلماء والمغامرين من مختلف الأجناس والبلدان، ودفعتهم إلى تجشم المشاق وترك الأهل، وطلب العلم كان السبب في حب الارتحال على بعد الشقة وعظم دهشته السبب في التنقل والترحال للعرب.

تعد الرحلة العلمية من أهم الرحلات وأقدمها، فكان طلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام بالرحلات، لسيما أن الإسلام قد أولى أهمية بالغة للعلم، فكانت أول آية نزلت من القرآن الكريم قال تعالى: " اقرأ بسم ربك الذي خلق"، ولم تقتصر الرحلة هنا على بلد معين بل شملت جميع أقطار العالم كما جاء في بعض الاخبار "أطلبوا العلم ولو في الصين".

#### أنواع الرحلات العلمية وأهميتها:

ليس من المبالغة في شيء، إذ قلنا أن معظم الرحلات على تنوع أصنافها هي رحلات ثرية، إلا إذا استثنينا منها العدد القليل الذي يندرج تحت الرحلات الشعرية، ولعل السبب واضح مفاده، أن الرحالة على تشعب حقولهم العلمية لم يهتموا بالشعر في اعتنائهم بالجانب الوصفي، والمادة العلمية التي يحويها هذه الرحلات، ويمكن أن نجمل أهمية الرحلات فيمالي: ترسيخ مجموعة من الانطباعات العامة، والتصورات عن الشعوب الأخرى، سواء كانت صادقة أم خاطئة، ذلك لأن الرحالة يمثل نفسه، ويعبر عن رأيه الشخصي

1 - سوزي حمودي، الأندلس في العصر منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمان الثالث الناصر لدين الله، ط1، لبنان، 1430، 2009، ص87.

2 - عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، القاهرة، 1991، ص184.

الخاص به، الكشف على نصوص مجهولة لكتاب ورحالة العرب ومسلمين أجابوا العالم ودونوا يومياتهم وانطباعاتهم ونقلوا صور المشاهدون في أقاليم القريية والبعيدة<sup>1</sup>.

### أهمية الرحلات المغربية والأندلسية وأبرز رحلاتها:

أهمية الرحلات المغربية والأندلسية: لاشك أن الرحلات المغربية والأندلسية إلى الحجاز ظاهرة أدبية وتاريخية واضحة وجلية، إلا أنه لم يصلنا منها إلا القليل، بينما حفظت لنا كتب التراجم والتاريخ أسماء رحالة مغاربة وأندلسيين لم نعثر على رحلاتهم أو أو انتاجاتهم أو لم يدونوا رحلاتهم، ومنهم من قام بتكوينها، وهذه الرحلات المدونة والمحفوظة الفضل في امدادنا بمعلومات قيمة لم يدر بخلد مؤلفيها أهميتها وقت تدوينها، خاصة وأنهم أودعوا فيها معظم مشاهدهم عن الحجاز التي قد لا نجدتها في كتب التاريخ المعاصرة من حيث الوصف الدقيق للمدن ونمط الحياة.

كما يمكننا القول أن نمط كتب الرحلات المغربية والأندلسية كان فن قائم بذاته زاخر بالكثير من المعلومات التي يهتم النؤرخ والجغرافي وعالم الاقتصاد وعالم الاجتماع، فتكون أهميتها فيما تحويه من مادة علمية، عن تلك النواحي وذلك في كون نوعية أسلوب الأدبي المنسق خال من الأساطير إلا ما ندر والمستمد على المشاهد والاستماع في ملاحظة المظاهر ومن ثم تدوينها<sup>2</sup>.

أهميتها من الناحية العلمية: إن رغبة الرحالة المغربية والأندلسيون في أداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة وارتباد مراكز العلم في المشرق بعد أن تجاوزوا سن التعليم قد توصلوا إلى سن تؤهلهم بمجالسة كبار العلماء للأخذ والعطاء، وبهذا أثريت الناحية العلمية بفضل هذا التبادل العلمي القائم على الالتقاء بكبار العلماء للأخذ والرواية عنهم والحصول على إجازاتهم العلمية في المراكز التي وصلوا إليها، وبهذا أصبح الرحالة رسل علم ومعرفة في حلقة اتصال وتبادل فكري وعلمي بين الشرق على أيدي هؤلاء الرحالة الذين قاموا بتدريس تلك العلوم وخاصة علوم الحديث وملحقاته لموطنهم إلى جانب ذكرهم للمدارس وتنشئتها وأماكنها والعلماء المتصدرين للتدريس فيها<sup>3</sup>.

1 - جورج غريب، آداب الرحلة وتاريخه وأعلامه، و ط3، دار الثقافة، بيروت، سنة 1979م، ص27.

2 - حسين نصاري، آداب الرحلة، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1491، ص34.

3 - حسين نصار، آداب الرحلة، ص72.

## أبرز الرحالة المغاربة والأندلسيين

- ابن جبير (540هـ/1145م): هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكنايني، رحالة أندلسي كان جده عبد السلام من أوائل الداخلين إليها مع بلج الفشيري، توفي بالإسكندرية في 29 شعبان سنة 615هـ/1217م في سن 74 عام نشأ ابن جبير في كنف أبيه الذي أعده لتقلد المناصب، فقد تلقى العلم عنه أبيه وعن علماء عصره بشاطية وعني بالأدب فبرع فيه وبرز في صناعة الكتابة.

تنقل ابن جبير في مطلع حياته إلى عدة مدن أندلسية وإفريقية، فلقن في شاطية وقرطبة تغلده العديد من المناصب الكتابية ويعد أحد كتاب الدولة الموحدية وقد تمتع بمكانة عالية لسعة علمه وقدرته على فهم الشعر والنثر، من أهم مؤلفاته رحلة ابن جبير<sup>1</sup>.

- الرعيبي: (592هـ/1195م): هو رحالة أندلسي على بن محمد بن علي بن عبد الرحمان ابن هشام الرعيبي الإشبيلي البطشي حكيم كان سلفه فيها يعرفون لني الحاج ويلقب بابي الحسن ويعرف بابي الفخار صنعة أبيه، حيث أراد والده أن يعلمه تلك الحرفة قلم يفلح، ولد بإشبيلية فنشأ فيها واخذ القرآن على شيوخ عصره وقد أجزى صغيراً وقدم للتدريس في مجاله، وتولى القضاء على مذاهب الإمام مالك، اشتهر بالكتابة وكتب لعديد من ملوك الأندلس في إشبيلية وقرطبة، وقد كان كثير التنقل فسكن في كل من إشبيلية ومالطة وقرطبة، وقرطبة، وتلمسان واستقر في آخر حياته في مراكش، من أبرز مؤلفات الرعيبي، شرح الكافي لابن شريح، اقتناء السنن في اقتناء أربعين من السنن أخرجها عن أربعين شيخاً.

- ابن رشد (607هـ - 721هـ/1206 - 1321م): هو رحالة من بلاد المغرب، ولد بسبتة في شهر رمضان سنة 607هـ وكانت وفاته في مدينة فاس في 24 من شهر محرم 721هـ، رحل من المغرب إلى المشرق لاداء فريضة الحج، للقاء اهل العلم.

من أهم صفاته أنه أثنى عليه كل من ترجم له، إذ وصف بالعدل وكان عارف بعلم القرآن وعلم البيان والاداب والعروض والقوافي، من أبرز مؤلفاته رحلته التي سماها "مل العيبة فيما جمع بطول القبية في الوجهتين الكريمتين مكة المكرمة وطيبة، وهي من أكبر المؤلفات من حيث الحجم وما تحويه من غرائب وفوائد<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - حسين نصار، أداب الرحلة، ص74.

<sup>2</sup> - امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، شرح عبد الرحمان المصطفاوي، ط2، المروقة بيروت، 2004، ص91.

- ابن بطوطة (703 - 770هـ/1303 - 1368م): رحالة مغربي يرجع نسبه الى احدى القبائل البربرية، ولد في طنجة ينسب إلى أسرة علم فمنه القضاة والعلماء، من ابرز اخلاقه انه كان سريع الاندماج والتأقلم مع أهل المدن التي زارها، وألف عاداتها عكس العديد، ابن بطوطة كان شديد العرض كل التمسك بالدين، فلا يكاد يسمع برجل صالح أو عالم إلا وسارع إلى لقائه والكسب بدعائه، وهو كثير التزواج، ففي كل بلد يحط رحاله به يتزوج، أدى ابن بطوطة فريضة الحج سبع مرات، كما استمرت رحلة ابن بطوطة في المشرق 25 سنة منذ خروجه إلى حين عودته إلى مدينة فاس.

ومن أهم مؤلفاته " رحلة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " التي صاغها له ابن جزي، وهي مؤلفته الوحيدة.

- العبدري: هو رحالة من بلاد المغرب لم يعرف إلا القليل عن نشأته، حيث لم نجد ترجمة لحياته إلا في جذوة الاقتباس وهي مختصرة لا جديد فيها، ويزيد عما هو موجود في متن رحلته وهي الفترة الوحيدة المعروفة من حياته المسجلة في رحلته والتي تكشف عن شخصيته على أنه عالم ملم بجميع العلوم ذو اطلاع واسع إلا أنه ليست لدينا معلومات مفصلة عن حياته العلمية، تلقى تعليمه بمراكش وارتبط بالعديد من علماء المنطقة منها ابن عبد الملك المراكشي، اشتهر بدقة في تدوين ملاحظات إضافة الى وجود الكثير من المباحث الفقهية والنحوية واللغوية والاييات الشعرية التي امتلأت به رحلته، ومن أبرز مؤلفاته، لا يوجد له مؤلفات غير رحلته التي دونها وسمها الرحلة المغربية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - نفس المرجع السابق، ص102.

# الخاتمة

## خاتمة:

يعتبر تاريخ العلاقات بين الشعوب والأمم من أهم المواد التي يجب تدريسها لطلاب الجامعات نظرا لما تكتسبه

هذه المادة التاريخية من معرفة بالشعوب والحكومات وكيف تجنح للسلم في حالة الضعف أو المداهنة أو كسب الوقت أو بالعبرة الشهيرة ما تخسره في الميدان تكسبه في السياسة، ومالم تستطع تحقيقه بالسنان يمكن أن تدركه بجرة البنان فمعارك السياسة أشد من اشتعال الوطيس ولا يفقه كنهها إلا الدهاة. من خلال دراستنا لمادة علاقات الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي، و تدريسي لها مع طلبة الماستر بجامعة غرداية، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي الغرب الوسيط السنة الثانية السداسي الثالث والاحتكاك والانشغال بالعديد المصادر والمراجع والكتب والدراسات الجامعية الجادة، نختتم دراستنا بتسجيل الملاحظات التالية :

أ- أن فهم هذه المادة واستيعبي موضوعاتها لا يكون بالطريقة التقليدية الكلاسيكية سردي ماجمعته دفوف هذه

الأعمال العلمية، وإنما يكون بفك عقد المعاهدات وتقليد بنود المواثيق المبرمة وحللت الصراع الفكري والمذهبي والعقدي، فرما يظهر لك نور يهديك لطريق تفسير الحروب والصراعات البينية والإثنية والعقدية والعرقية.

ب- ضرورة اتقان اللغة الاجنبية خاصة اللغة الانجليزية والفرنسية باعتبارها اللغة الرسمية للعالم المسيحي وهي التي دون وكتب بها هذا التاريخ، وسواجه الطالب أحادي اللغة كما الاستاذ نفس المصير في ضيق الافق و تغلب عليه نظرة واحدة مهما يحاول أن يكون موضوعيا.



ج- يواجه الدارس لهذه المادة صعوبة في أسماء الشخصيات الفاعلة وتشابهاها في بعض الاحيان لذلك يتوجب على كل مدرس أن يعد فريقا من الطلبة لوضع معجما لهؤلاء الأعلام ولو كان بسيطا لتذليل فهم هذه المادة.

د- أبرز الصراعات التي تطفو على السطح هي تلك التي كانت خلفيتها دينية أو دلالتها استعمارية أو استيطانية، تحاول التطاول على الآخر والتعدي على عرضه وانتهاك أرضه والنيل من مبادئه والعبث بتاريخه. هـ- إن منطق القوة والضعف في العلاقات لا يعني الغلبة بكثرة العدد وحسن العدة وتوافر العتاد، وإنما بمقدرة الطرف القوي استمالة الطرف الضعيف بشتى الوسائل ومختلف الطرق الممكنة والمتاحة.

و- رغم تجدد هذا الصراع واستدامته لقرون وتوريثه لأجيال إلا ان السمة الغالبة عليه أنه صراع وجود لا صراع حدود، ولن يعانق الهلال الصليب إلا بتوسيع مجالات التعامل في النقاط المشتركة واحتفاظ كل طرف بمبادئه وأسسهِ وتعاليم دينه الحنيف مطبقينا المبدأ القائل “ نتعاون فيما اتفقنا فيه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ”

ز- إن انخراط الشعوب في الصراع وتفاعلها فيه والدفاعها المستميت على حكامها أو ملوكها والتماهي معهم في سياساتهم لا يكون إلا إذا كانت العلاقة بين الراعي والرعية تقوم على أسس العدالة وتحقيق ذلك الراعي لأسس الحكم الراشد أو يكون على أساس مصلحي لكلا الطرفين وما أكثر هذه الأخيرة في معظم هذه العلاقات .

ح- يظن العديد من الطلبة والقراء الأكارم أن الصلاح الفتاك في هذه العلاقات هو الجانب السياسي فحسب ، وإن كان هذا الاخير هو المسيطر والمهيمن والطاغي على كل العلاقات بإعتباره يلقي بظلاله على كل الأصعدة الأخرى.

ط- تعد المصلحة أحد أهم العوامل والأسس والمعيار والمحدد الرئيسي وبوصلة ضبط هذه العلاقات وتفسير مراميها وأهدافها المعلنة والخفية وقد تعدد صورها وأشكالها فيمكن أن تكون زواج أو تنازل ، إقطاع، تحالف ...

ي- تتغير العلاقات بتغير حالة وضعية الدول وكذلك تتأثر بحالة الضعف والقوة .

ك- إن عبارة لا عداوة دائمة ولا صداقة دائمة أو في الحديث النبوي الشريف “ أحبب حبيبك هونا ما فر بما يكون بغيبك يوما ما وأبغض بغيبك هونا ما فر بما يكون حبيبك يوما ما ” يمكن أن تفك لنا

وتسعفنا في فهم تقايل الاخوة و اصحاب الملة الواحدة من الطرفين ، أو تقارب اصحاب المبادئ المتناقضة والعقائد المختلفة.

ل- لم تسلم هذه العلاقات من التوظيف العنصري واستغلالها بعبارات الاستعلاء والاستكبار .

وفي الأخير يمكن أن نستنتج من هذه العلاقات أسباب القوة تكمن في :

الوحدة، النصر، تقارب اصحاب العقيدة الواحدة، التنازل للأكفاء، وأسباب الضعف هي على النقيض تماما ( العكس الصحيح).

ستظل هذه المادة وهذا الموضوع بحاجة ماسة الى أرمدة من الباحثين من أجل البحث فيه والتنقيبي في

جوانبه

المتعددة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، ودلالاته المذهبية وخلفياته العقدية في مقالات بحثية وملتقيات علمية ومشاريع بحث معمقة.

# المصادر والمراجع

### قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر التاريخية : (كتب التاريخ العام - كتب الفرق والمذاهب).
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م) : الحلة السيرة، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ/1232م) : **الكامل في التاريخ**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، مج10، 1966.
- \_\_\_\_\_ : **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، مج2، مج3، 1987.
- \_\_\_\_\_ : **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، مج4، مج5، مج6، مج8، مج9، 1987.
- البيهقي، أبو بكر بن علي الصنهاجي (توفي أواخر القرن السادس الهجري) : **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد السلیماني (ت 776هـ/1374م) : **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964.

- ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد (ت 808هـ/1406م) : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج4، 2000.
- \_\_\_\_\_ : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج6، 1971.
- يحيى بن خلدون، أبي زكرياء ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن (ت. 780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح ، بوزيانى الدراجي، ج2، دار الأمل، الجزائر ، 2007.
- الدباغ، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري (ت 696هـ/1296م) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبوي الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شيوخ، ط1، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ج1، 1968.
- الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، مج 30، 1994.
- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة 425هـ/1033م) : قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت 726هـ/1325م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/1153م) : الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسين فاهود، ط2، دار المعرفة، بيروت، ج1، 1993.
- ابن صاحب الصلاة، عبد المالك (ت 594هـ/1198م) : المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس سفي عهد الموحدين)، تحقيق عبد الهادي التازي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م) : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، ج4، دت.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمان بن عبد الله (ت 257هـ/871م) : فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، ج1، دت.
- ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1983.
- \_\_\_\_\_ : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، ط5، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1418هـ/1998م.
- \_\_\_\_\_ : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ط2، محمد بن تاويت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ج5، 1985.
- المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد (توفي بعد سنة 460هـ/1068م) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان إفريقية وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1994.
- مجهول (لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري) : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979.
- مجهول (عاش في القرن الثامن الهجري، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايا، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2005.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988.
- العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، (د ت).

المصادر الجغرافية :

- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت 560هـ/1064م)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ/1828م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م.
- الجميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (توفي في منتصف القرن الثامن الهجري)، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.
- ابن خردادبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/912م)، المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، ط1، دار إحياء التراث العرب، بيروت، 1988.
- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (توفي في أواسط القرن السادس الهجري)، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دت.
- مجهول (لمؤلف مراكشي من أهل القرن السادس الهجري)، الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية، بغداد، دت.

#### المراجع باللغة العربية :

- أحمد محمود حسن، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.
- أمال سالم عطية، السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق 13 - 14 م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف ، عوييد بوداود، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2016م.
- إسماعيل عبد الرزاق محمود، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985.
- إسماعيل محمود، لأدارة (172-375هـ) حقائق جديدة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.

- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج1، 2007.
- التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدولة الإدريسية، مطابع فضالة، المحمدية، مج4، 1987.
- الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلين ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ط4، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1980.
- الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.
- \_\_\_\_\_ : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م) - (869هـ/1465م)، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987.
- حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2011.
- حسني الخربوطلي علي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، 1972.
- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008.
- خضير أحمد حسن، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، دت.
- عبد الرؤوف الفقي عصام الدين، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نخضة الشرق، القاهرة، دت.
- زيتون محمد محمد، المسلمون في المغرب والأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990.
- سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008.
- سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي (172-223هـ/788-835م)، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
- السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، 1954.



- الصلاحي محمد علي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، القسم الأول دولة المرابطين في الشمال الإفريقي، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
- الطمار محمد، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- العربي إسماعيل، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.
- العربي إسماعيل، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.
- عمر موسى عز الدين، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.
- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس - عصر الموحدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج5، 2002.
- عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1991.
- بن قربة صالح وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- لقبال موسى، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 2004.
- محمد جمال الدين عبد الله، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصل إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
- مصطفى مسعد سامية، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/912-1008م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000.
- المعموري الطاهر، الغزالي وعلماء المغرب، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
- النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت - حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وآثاره بالمغرب، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

- حسين مؤنس، " غارات النورمانيين على بلاد الأندلس بين سنتي (229 - 248هـ / 844 - 859م)", المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد/6، مج1، (ماي 1994م).
- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، مصر، 1984م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1976م، ج1.
- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 1986م.
- محمد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1999م.
- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، (د ت).
- عبد الوهاب عيفة، الغزو النورماندي لفرنسا وإسبانيا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف باقة رشيد، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014م.
- عبد الأمير محمد أمين، محمد توفيق حسن، التاريخ الأوربي في العصور الوسطى، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1978م.
- هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى - الحياة الاقتصادية والاجتماعية - ترجمة عطية القوصى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دم)، 1996م.
- موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة على السيد على، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

#### المراجع الأجنبية:

#### JOURNAL ARTICLE

Kinship, Identity and Fourth-Century Franks

Jonathan Barlow

Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte

(2nd Qtr., 1996),

Published By: Franz Steiner Verlag

harlemagne - Emperor of the Romans | Holy Roman emperor [747?-814]". Encyclopedia Britannica

Hollister, Clive, and Bennett, Judith. Medieval Europe: A Short History, p

- JOURNAL ARTICLE , Kinship, Identity and Fourth-Century Franks, (2nd Qtr., 1996), pp.

Published By: Franz Steiner Verlag

harlemagne - Emperor of the Romans | Holy Roman emperor [747-814]". Encyclopedia Britannica

- Hollister, Clive, and Bennett, Judith. Medieval Europe: A Short History,

Hist, of the Frar.ks by Gregory of tours ( trans, by Daition, pp,18- 19- 2 voi, oxiord 1927)

Heyck "rise of the Frankish dominion" in B H. VII,

Atallah Dhina le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou

Moussa 1<sup>er</sup>

office des publication universitaires, Alger, s, d.

#### المراجع المعربة :

- برنشفيك روبر، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1988.
- روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في ع هد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ط1، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1992.
- ميراندا أميروسو هويشي، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكميز، ط2، منشورات الزمن، المغرب، 2015.

#### الرسائل الجامعية :

- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، نابلس، فلسطين، 2002.
- محمد محمد مرسى الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، في أواخر القرن العاشر الميلادي(138-366هـ/755-976م)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1401هـ/1981م.

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات

1	مقدمة
2	الدرس التمهيدي (التعريف بالمادة ومحتواها)
4	محتوى المادة:
8	شرح خطة العمل في التطبيقات
10	الدرس الأول: علاقة الأندلس بدولة الفرنجة.
23	الدرس الثاني: الغزو النورماني للأندلس.
34	الدرس الثالث: علاقة الأندلس بالأمبراطورية الرومانية.
38	الدرس الرابع: علاقة المغرب الإسلامي بالنورمان والدولة البيزنطية.
44	الدرس الخامس: العلاقة مع الممالك النصرانية: مملكة ليون- نبرة- قشتالة- برشلونة - اراغون.
47	الدرس السادس: علاقة الأمويين بالأندلس بالممالك النصرانية.
56	الدرس السابع: علاقة المرابطين بالممالك النصرانية.
63	الدرس الثامن: علاقة الموحيدين بالممالك النصرانية.
67	الدرس التاسع: علاقة الحفصيين والزيانيين والمرينيين بالممالك النصرانية.
82	الدرس العاشر: تاريخ البحرية في بلاد الغرب الإسلامي.
	الدرس الحادي عشر: دور التجار في نقل الأفكار والتقارب الحضاري.

89	الدرس الثاني عشر: العلاقات السياسية نماذج لسفارات
96	الدرس الثالث عشر: العلاقات العلمية تنقل الطلبة والكتب
105	خاتمة
109	قائمة المصادر والمراجع:
118	فهرس المحتويات

